معـالم تـربوية ٥

القيم فى العملية التربوية

دكتور ضياء زاهر
كلية التربية - جامعة عين شمس

إشراف
الدكتور أحمد حسين اللقانى
أستاذ المناهج
بكلية التربية - جامعة عين شمس

١٩٨٤

الناشر



مؤسسة الخليج العربى
ARABIAN GULF EST.

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

هذه سلسلة كتب « معالم تربوية » نقدمها للقارئ العربى ، وهى تعالج قضايا ومسائل تربوية هامة بالنسبة لكل مشتغل بمهنة التربية ، فالمعلم والموجه والمدير وولى الأمر فى حاجة دائمة إلى المعرفة والرأى ووجهة النظر المتخصصة فى شتى قضايا ومسائل التربية ، فالأبناء فى حياتهم المدرسية وكذلك فى حياتهم الأسرية وفى مختلف تفاعلاتهم اليومية تواجههم مشكلات عديدة يرجع بعضها إلى عوامل نفسية أو ثقافية أو اجتماعية أو تربوية أو غيرها ، وفى جميع الأحوال يصبح الكبار مسئولين بصورة أو بأخرى عن مساعدتهم على مواجهة هذه المشكلات وحلها ، يلاحظ أن هناك من الأبناء من يبادرون بطلب النصح والمشورة من الكبار ، فى حين تحجم النسبة الغالبة منهم عن ذلك ، وفى الحالتين تكون مسئولية الكبار أكيدة ، الأمر الذى يقتضى مبادرة بالدراسة والتشخيص والتوصل إلى قرار بشأن أى مشكلة يواجهها الأبناء .

والمعلم بحكم كونه صاحب مهنة مطالب أكثر من غيره بدور أساسى فى هذا الشأن ، وبالتالى فهو مطالب بالتمكن من المعارف

العلمية الأصيلة اللازمة ، ومما يضاعف من أهمية هذا الأمر أن المعلم يعد شريكا لأولياء الأمور فى عملية تربية النشئ شأنه فى ذلك شأن كل من لهم علاقة بعملية التربية ، ومن هنا جاءت فكرة هذه السلسلة والتى تهدف أساساً إلى تقديم دراسات تربوية فى مجالات عديدة نرجو أن يفيد منها كل ممارس لمهنة التربية وكل من هو فى سبيله للعمل بها .

وقد روعى فى هذه السلسلة أن تقدم إلى القارئ فى قالب بسيط سعيا وراء الفائدة لكل مهتم بعملية التربية وكل مشتغل بها ، ولذلك فقد حرصنا على أن يتولى هذه المسئولية كتاب من ذوى المستوى العلمى الرفيع ومن ذوى الكفاءة والتخصص الذى يسمح بتقديم المادة العلمية فى صورة مناسبة .

وقد تم اختيار موضوعات هامة وحيوية شعرنا أنها تهم القارئ العربى وتفتقر إليها المكتبة العربية ، وإنا إذ نقدم هذه الموضوعات نرجو أن يصلنا من القراء مقترحات جديدة بموضوعات أخرى يرون أنهم فى حاجة إليها ، وإنه ليسعدنا أن نستجيب لهذه المقترحات ، ولكل ما يلبى حاجتهم إلى المعرفة الصحيحة والعلم النافع المفيد .

يتناول هذا الكتاب بالبحث قضية هامة كثيراً ماشغلت الفكر الإنسانى عامة والفكر التربوى خاصة ، باعتبار النسق

القيمى ومتضمناته يعد إحدى الركائز التىّ يقوم عليها العمل التربوى كهدف ووظيفة .

وقد عالج الكاتب فى بحثه قضية القيم من عدة زوايا فلسفية وإجرائية بُغية التوصل إلى مفهوم واضح للقيم يمكن أن يستند إليه المربى والمعلم فى عمله . وفى هذا المجال وبسبيل تحقيق هذه الغاية حاول الكاتب أن يضع بعض المحّددات بين عديد من المفاهيم المتصلة بالقيم كالعادات والاتجاهات والأعراف الاجتماعية ، كما تعرض لتصنيف القيم فى إطار النسق القيمى لمجتمعنا العربى بمكوناته ودينامياته وأولوياته . كما قدم بعض النماذج البارزة من قيمنا الاجتماعية السلبية التى تناهض حركة التنمية فى الوطن العربى وتكبّل طاقات البشر فيه . وأخيراً نعرض الكاتب للمداخل التربوية لتكوين قيم إيجابية مرغوبة يمكن أن تكوّن الإنسان القادر على المشاركة الفعالة فى حركة التنمية على الأرض العربية .

وإنا لنرجو أن يسد هذا الكتاب ثغرة فى المكتبة العربية وأن يشبع حاجة لدى القارئ العربى .

والله الموفّق والمستعان

أ.د . أحمد حسين اللقانى



القيم فى العملية التربوية

١- شغل موضوع القيم اهتمام الكثير من الفلاسفة والمفكرين منذ طفولة الفكر الإنسانى . على أن الأهتمام الجدى بدراسة القيم وإخضاعها للبحث العلمى الموضوعى من جانب العلماء والباحثين لم يظهر إلا فى العقود القليلة الماضية من هذا القرن .

ولعل من أهم العوامل التى حتمت ضرورة دراسة القيم دراسة علمية ، ماأحدثته الثورة العلمية التكنولوجية ،وغيرها من عوامل التغير الثقافى ، من إعادة تشكيل الكثير من معارفنا ومفاهيمنا عن الحياة ، وتقويض أغلب تصورات الإنسان عن ذاته وعن عالمه ، الأمر الذى أدى بدرجة كبيرة إلى التذبذب وعدم الاستقرار فى القيم الموروثة والمكتسبة على حد سواء وعدم مقدرة عدد كبير من أفراد المجتمع ، وبخاصة الشباب ، على التمييز الواضح بين ماهو صواب وماهو خطأ ، وبالتالى ضعفت مقدرتهم على الانتقاء والأختيار من بين القيم المتصارعة الموجودة وعجزهم عن تطبيق ماقد يؤمنون به من قيم . كل هذا سبب

« أزمة قيمية » كان لها أثر كبير فى دفع الشباب للتمرد والثورة على قيم المجتمع واغترابهم (انفصالهم) شبه التام عن القيم التى جاءت بها الثورة العلمية التكنولوجية .

أما العامل الآخر فهو اتجاه مجتمعنا ، مع غيره من مجتمعات الدول النامية ، إلى محاولة تطويره وتحديثه والتخلص من كافة المعوقات الداخلية والخارجية التى تفرض عليه التخلف ، وذلك بالتأكيد على التنمية المجتمعية (الاقتصادية والاجتماعية والتربوية .... الخ) كهدف أو غاية ، الأمر الذى يتطلب معه البحث الجدى عن معوقات تلك التنمية ، وبخاصة العوامل القيمية المعوقة لحركة الإنسان ، الذى هو قلب التنمية وركيزتها الأساسية .

٢- من هنا نرى أن دراسة القيم ضرورية ولازمة على المستويين ، الفردى والجماعى :

فعلى **المستوى الفرادى** ، نجد أن المرء فى حاجة ماسة فى تعامله مع الأشخاص والمواقف والأشياء إلى نسق (أو نظام) للمعايير والقيم يعمل بمثابة موجهات لسلوكه وطاقات ودوافع لنشاطه . وبديهى أنه إذا غابت هذه القيم أو تضاربت فإن الإنسان يغترب عن ذاته وعن مجتمعه ويفقد دوافعه للعمل ويقل إنتاجه ويضطرب .

أما على **المستوى الجماعى** ، فإن أى تنظيم اجتماعى فى حاجة إلى نسق للقيم يشابه تلك الأنساق القيمية الموجودة لدى الأفراد ، يُضمنه أهدافه ومثله العليا التى عليها تقوم حياته ونشاطاته وعلاقاته . فإذا ماتضاربت هذه القيم أو لم تتضح فإنه سرعان مايحدث الصراع القيمى والاجتماعى الذى يدفع بالتنظيم الاجتماعى إلى التفكك والانهيار .

٣- وفى ضوء هذه الأهمية تصبح دراسة القيم ضرورة من الضرورات اللازمة للتربية .التى ينبغى على التربية ، بمؤسساتها وطرائقها النظامية وغير النظامية ، السعى نحو مناقشتها وتدعيمها لدى الأفراد والجماعات ، باعتبار التربية فى تحليلها النهائى مجهودا قيميا مخططا يستهدف تحليل القيم الاجتماعية وغرسها ، بعد نقدها ، فى عملائها من الناشئة والكبار معا .

والواقع أن الصعوبة ليست فى تقرير ماسبق ، ولكنها فى تحديد ماهية هذه القيم التى ينبغى على التربية أن توليها الاهتمام ، فمازالت هناك تساؤلات كثيرة حول القيم تعكس مدى التحير بشأنها : فماذا نعنى بالقيمة ؟ ومالفرق بينها وبين العادة أو الاتجاه ؟ وهل تنبع القيمة من الإنسان أم تفرض عليه من الخارج ؟ وهل هى كامنة فى الأشياء موضوع القيمة أم يسقطها

الإنسان عليها ؟ ثم هل القيمة نسبية أم مطلقة ؟ وهل الدافع إليها اجتماعى أم بيولوجى أو سيكولوجى أو وجدانى ؟ وماالإطار القيمى وكيف يرتب ؟ وكيف تفض الصراعات القيمية ؟ .

كل هذه التساؤلات تدعونا أن نتحرى بدقة ماهية(أو معنى)القيم ، ثم نتصدى بعد ذلك لتحليل القيم السائدة فى المجتمع ، وإلى أى مدى يحدد التوازن والصراع فيها مستقبل المجتمع وتقدمه ، ثم ننتقل إلى النماذج القيمية المرغوبة والمرفوضة فى المجتمع ، على أن نعرض فى نهاية الأمر أهم محددات الدور التربوى والاجتماعى لإكساب القيم وتنميتها .

أولاً: ماهية القيم:

كثرت وجهات النظر بشأن تحديد القيم ، إلى الحد الذى زاد من غموضها أكثر مما زاد من فهمنا لها ، ويلخص عالم الاجتماع الفين توفلو هذا الموقف بوصفه القيم بأنها « الطفل غير السعيد الذى يعانى من بؤس وشقاء عدم علمنا به » .

ومما يزيد من عدم وضوح مفهوم القيم التطرف فى تعريفه ، فهناك من يتجه إلى التحديد الضيق للقيم على أنها مجرد اهتمامات أو رغبات غير ملزمة للأفراد أو الجماعات ، فى حين نجد فى القطب الآخر تحديدا واسعا للقيم يراها معايير مرادفة للثقافة

ككل ، فنجد توماس مثلا ، يعرف الثقافة بأنها القيم المادية والاجتماعية لأى جماعة من الناس ، سواء أكانت متوحشة أم متدينة . هذا التفاوت فى تعريف القيم دفع جون ديوى إلى القول « إن الآراء حول موضوع القيم تتفاوت بين الاعتقاد من ناحية بأن مايسمى« قيما »ليس فى الواقع سوى إشارات انفعالية أو تعبيرات صوتية ، وبين الاعتقاد فى الطرف المقابل بأن المعايير القبلية العقلية ضرورية ويقوم على أساسها كل من الفن والعلم والأخلاق » .

ونظرا للأهمية البالغة لتحديد مفهوم القيم على المستويين الفردى والجماعى كما أشرنا ، فإننا سوف نحاول بإيجاز التعرض لأهم المداخل فى تعريف القيمة ، وذلك إسهاما فى إزالة الغموض بشأنهاو يزيد من إمكانية توجيهها توجيها صحيحا لخدمة قضايا الإنسان والمجتمع على حد سواء . وتتعدد هذه المداخل ، فمنها ماهو اقتصادى(القيمة هى الشئ المرغوب ذو المنفعة)أو فلسفى أو أنثربولوجى أو سيوسيولوجى أو سيكولوجى .. ألخ على أننا نعتقد أن الدراسة العلمية لمفهوم لابد وأن تسير فى خطين متوازيين هما :

– المنظور الفلسفى التجريدى ، وهو يهدف إلى تحديد

الخصائص البنائية للقيم ، أى معناها العام وخصائصها النظرية التجريدية .

– المنظور الإجرائى ، ويهدف إلى تحديد الخصائص الوظيفية للقيم أى وظائفها وكيفية قياسها .

على أننا فى كلا المنظورين سوف ننطلق فى التعامل مع مفهوم القيم من مسلمة أساسية مؤداها أن القيم **ماهى إلا محصلة تفاعل الإنسان بإمكاناته الشخصية مع متغيرات اجتماعية وثقافية معينة وأنها محدد أساسى من المحددات الثقافية للمجتمع .**

(ا) القيم فى منظورها الفلسفى :

كان سعى الإنسان العميق والدائم منذ وجد فى هذا الكون للوصول إلى الكمال دافعاً إلى تبنى موضوع القيم ومعالجته والتفلسف حوله :

ا – فنظرة الفكر المثالى للقيم تقوم على أساس الاعتقاد فى وجود عالمين أحدهما مادى والآخر معنوى (سماوى) ،وأن الإنسان الكامل يستمد من عالم السماء قيمة ، وهى قيم مطلقة كاملة(الحق والخير والجمال) .

وهذه القيم تكون موجودة فى حد ذاتها فهى خالدة أزلية وغير قابلة للتغير ولا للزوال . والإنسان يدرك هذه القيم من

خلال تعامله مع الأشياء التى تحملها من خلال خبرات انفعالية وعاطفية . وكنتيجة لذلك يتشكل ضمير الإنسان حيث تحدد له ما الصواب وما الخطأ . وأن الخبرة الحياتية لاتصلح للتمييز بين القيم الحسنة والسيئة ، بل على الإنسان أن يتجاوز حدود الحياة اليومية حتى يصل إلى الحقيقة ، أى إلى القيم الموروثة التى هى صالحة لكل زمان ومكان وهى غير قابلة للشك فيها لأنها من مصدر الكمال . وأنه إذا حدث تنافر بين القيم المطلقة وبين ماهو مطلوب للحياة فإن علينا تغيير طرق فكرنا وحياتنا حتى تتوافق مع هذه القيم الخالدة . فالقيمة الجمالية ، على سبيل المثال ، يكتسبها الإنسان عندما ينقل الشئ الجميل(الزهرة مثلا) جوهرة إلى الإنسان ، فيسمو بنفسه وبفرديته ويدرك السر الموجود خلف عالمه المادى ، أى ينتقل من عالم المادة إلى عالم الفكرة .

٢- أما نظرة الفكر الواقعى إلى القيم ؛ فتتأسس على فكرة مؤادها أن القيم حقيقة موجودة فى عالمنا المادى وليست خيالا أو تصورا ، وأن كل شئ فيه قيمته . وأن الانسان يستطيع أن يكتشف القيم باستخدام الأسلوب العلمى والخطوات العملية ، أى عن طريق استخدام العقل . فالقيم عندهم مطلقة ولكن يمكن الحصول عليها وتقديرها عن طريق المشاهدة أيضا .

ويرون أننا لو حددنا قيما عينيه كافية وشاملة ممثلة للناس فإننا نستطيع أن نصل إلى مجموعة من القيم التى ينبغى ألاّ يخرج عنها الناس وتكون هى القيم المطلقة . وكل القيم بالتالى هى قيم اجتماعية تحقق للإنسان سعادة ولذة ومنفعة ومن ثم تحفزه على العمل . فمثلا نجد الطالب الذى يجد فى استذكار دروسه طلبا للنجاح ، يتخذ الجد وسيلة إلى غاية يلتمس تحقيقها هى النجاح ، وقد تكون هذه الغاية نفسها وسيلة إلى غاية أبعد منها هى الحصول على وظيفة . يحتمل أن تكون بدورها وسيلة إلى غاية أبعد منها هى كسب مال يعين على تيسير أسباب الحياة ، وقد تكون هذه الغاية وسيلة إلى غاية أبعد منها هى تحقيق السعادة . والواقعيون يرون السعادة لذة أو منفعة . والسعادة عندهم هى الخير المرغوب فيه لذاته دون نظر إلى نتائجه وآثاره . وبالتالى فإن معيار الأخلاقية عندهم هو حب الذات ومايحتمل أن يصيب صاحب السلوك أو الفعل من أشكال النفع أو الضرر .

٣ – فى حين نجد نظرة الفكر البرجماتى ، والنسبى عموما ، للقيم ؛ تؤمن بعدم وجود قيم أخلاقية مطلقة ، فأحكامنا حول القيم قابلة للتغيير وبالتالى فالقيم والأخلاق عموما نسبية . وهم على عكس الفلسفة المثالية يرون عدم وجود قوانين قيمية

يفرضها واقع غير طبيعى . والقيم تقاس عندهم بنتيجتها ، أى بما يعود منها بالخير على الفرد والمجتمع فى الموقف الذى تطبق فيه .. ففي هذا الموقف يقوم الشخص باستنباط القيم من واقع خبرته بنفسه ويستخدم ذكاءه وتفكيره فى ذلك حيث يختار بين ماهو خير له وماهو شر حتى يصل إلى القيمة الأكثر نفعا له أو الأكثر نتيجة له . وحتى لاتتذبذب الأحكام والقيم وتصبح ذاتية فقط ، فإنهم يرون ضرورة أن تعتمد الأحكام التى نصدرها على شئ ما(القيم)على نتيجة تطبيق هذا الشئ من خلال الإجابة على سؤالين هما :

– ماالنتائج الشخصية الهامة للشخص من هذه القيمة ؟

– ماالنتائج الاجتماعية ، أى مامدى وظيفة القيمة بالنسبة للبيئة المحيطة بالفرد والمجتمع ككل ؟ .

فالطاعة مثلا تعد قيمة مرغوبا فيها فى الجيش ، لكنها تصبح قيمة غير مستحبة أحيانا مع أولادنا وتلاميذنا ، لأنها لاتساعدهم على التفكير فى الأوامر . وبالتالى فالقيمة لديهم ذاتية وليست موضوعية ، بمعنى أنها تعود إلى ذات الشخص الذى يقيم الشئ أو الموقف ... فالشجرة الجميلة لم تكن جميلة إلا لأن الشخص رآها كذلك . كذلك فإن القيمة جزء لايتجزأ

من الواقع الموضوعى للحياة وللخبرة الإنسانية ، وإن قيم الأشياء لاتكمن فيها بل نحن الذين نسقطها عليها من خلال رغباتنا واتجاهاتنا نحوها .

إذن فالقيمة عندهم كالحقيقة تماما تنبع من الموقف والخبرة ، وهى مرنة ونسبية بالنسبة للموقف ، فالصدق مثلا قيمة مهمة ولكن الكذب قد ينجى الإنسان من أيدى الأعداء وينجو وطنه ومجتمعه .

وهنا لابد أن يكذب عندما يعطى معلومات . ومن هنا تأتى نسبية القيم ونسبية الأخلاق . على أنهم يرون فى نفس الوقت أن هناك قيما سامية وصحيحة توصل إليها الإنسان منذ أقدم العصور واتفق على صحتها كالأمانة والصدق والتضحية والوفاء والإخلاص .. الخ .

٤ – يتضح مما سبق عدم اتفاق الفلسفات الرئيسية الثلاث حول موضوع القيم ، ففى حين أن إحداها تتجه إلى اعتبار القيم مطلقة، نجد أن الأخرى تراها نسبية ، أما الثالثة فتراها مطلقة ونسبية فى آن واحد ! ، كما نجد أن بعضها يرى أن مصدر القيم هو السماء ، فى حين يراها البعض الآخر فى العقل والخبرات الإنسانية .

وفى الوقت الذى تخلع فيه بعض الفلسفات القيمة على الأشياء ، نجد غيرها ترى القيمة كامنة فى الأشياء ذاتها ، وفى حين تؤمن بعض هذه الفلسفات باستحالة تغير القيم نجد أخرى تؤمن بإمكانية تغير القيم وصراعها .

على أن كل هذه الفلسفات تقريبا تتفق فى كون القيم معايير توجه سلوك الفرد والمجتمع ، وأن هذه المعايير قد يكون للفرد فيها حرية الاختيار أو لايكون . كما أن معظم هذه الفلسفات وغيرها يركز على القيم من زاوية بعدها المطلق(ماينبغى أن يكون)وهذا البعد يصعب إخضاعه للدراسة العلمية والتفسير العلمى .

وفى ضوء هذا يصبح من الأهمية بمكان التعرف على القيم فى ضوء بعدها الواقعى الإجرائى ، أى القيم كما يمكن أن نلاحظها ونقيسها ، وهو الاتجاه العلمى الموضوعى لتحديد القيم على نحو دقيق .

(ب) القيم فى منظورها الإجرائى(كما تقاس) :

فى هذا المنظور تتقدم وجهات النظر بشأن القيم خطوة أعمق فى تحديدها ، فهى تتجه إلى البحث عن الصور(أو المنافذ)المختلفة التى يمكن من خلالها معرفة قيم الأفراد والجماعات . ويمكن تصنيف وجهات النظر هذه إلى الفئات التالية : —

١- القيم من خلال مؤشر الاتجاهات والاهتمامات:

وتقوم وجهة نظر هذا الفريق من العلماء على أن القيم ماهى إلا اهتمامات أو إتجاهات معينة حيال أشياء ، أو مواقف أو أشخاص . أى أن الأتجاهات هى المؤشر الرئيسى للقيمة ، بها نستطيع معرفة قيم الأفراد والجماعات . فالقيمة التى يتمثلها المرء إنما تملى عليه مجموعة من الأحكام الخاصة (تسمى أحكام القيمة) . وهى أحكام تنصب على أشياء ، ووقائع ، ومواقف خاصة ، أو على القيم ذاتها . وكل هذا لابد أن يتم داخل موقف فى البيئة (يأخذ شكل الخبرة) واستجابة يصدرها المرء ردا على هذه الخبرة .. فالقيمة عند « سويدلن » تتحدد من خلال العلاقة بين الفرد وبين الخبرة فى موقف معين ، علاقة من شأنها أن تؤدى إلى استجابات تعكس مايتمثله الفرد من قيم . لذا فإنه يمكن قياس القيم من خلال تصميم مقاييس معينة يعرض فيها مواقف مختلفة ويطلب من المرء أن يستجيب باختيار بين بديلين أو أكثر . وتضم هذه المواقف اهتمامات الأشخاص بالأنشطة والأشياء المختلفة أو تتعلق بمعاييرهم ومثلهم العليا .

ويعاب على منطق الاعتماد على الاتجاهات كمؤشر للقيم أن الأتجاه لايستطيع أحيانا أن يعبر بدقة عن القيم التى يتبناها المرء

بقدر مايعكس القيم السائدة المرغوبة فى بيئته . كذلك فإن اتجاهات الأفراد والجماعات تتأثر بالمتغيرات الثقافية مما يجعل الاتجاهات لاتعبر بدقة عن قيم الأفراد .

٢- القيم من خلال مؤشر الأنشطة السلوكية :

وتبنى على أن المؤشر الرئيسى للقيم هو السلوك . وبالتالى فإن القيم التى يتبناها الأفراد عوامل هامة محددة لسلوكهم ، فعندما يؤدى أو يختار المرء سلوكا معينا مفضلا له على سلوك آخر، فإنه يفعل هذا وفى ذهنه أن السلوك الأول إنما يساعده على تحقيق بعض من قيمة أفضل من السلوك الآخر . لذا يرى « بارسونز » أن القيم التزام عميق من شأنه أن يؤثر على الاختيارات بين بدائل الفعل (السلوك) وهو يعرف القيمة بأنها « عنصر فى نسق رمزى مشترك يعتبر معيارا أو مستوى للاختيار بين بدائل التوجيه التى توجد فى الموقف » . فكأن القيم هنا تمثل معايير عامة وأساسية يشارك فيها أعضاء المجتمع وتسهم فى تحقيق التكامل وتنظيم أنشطة الأعضاء . وتوجهات القيم هذه هى فئات نصف بها توجه السلوك فى موقف الأختيار . ولكى نكشف عن هذه التوجهات القيمية للفرد ، فلابد من طرح بدائل تتضمنماينتقيه الفرد وماكان بإمكانه انتقاؤه ولكنه لم يفعل .

وبديهى أن هذا المذهب فى تعريف القيم يتضمن بعض المآخذ فعلى الرغم من كون السلوك أحد المؤشرات الهامة لقيم الأفراد ، إلا أن الفرد كثيرا مايسلك سلوكا ما فى موقف ما ليس لأنه يؤمن به كقيمة ولكن لأنه هو السلوك المرغوب فيه فى ثقافة بيئته ومجتمعه . كما أن السلوك كثيرا مايتأثر بالدور الاجتماعى الذى يتوقع من الفرد أن يقوم به ، وبمتضمنات الثقافة من تقاليد وأعراف اجتماعية .

٣- القيم من خلال مؤشرى الاتجاهات والأنشطة السلوكية :

وهذا المذهب يميل إلى الجمع بين الاتجاهات والسلوك حتى يتيح مزيدا من الفاعلية فى قياس القيم . وبالتالى فالقيمة تحدد اجرائيا إما من خلال دراسة السلوك وماينطوى عليه من إقدام وإحجام عن أنشطة معينة ، أو من خلال مايعبر عنه الفرد من تفضيل لجوانب معينة من الحياة .

وعلى هذا الأساس يعرّف «كاظم» القيم بأنها« أهداف يسعى إليها الفرد بغية تحقيقها » . وهى فى وقوفها كأهداف تمثل مرجع حكم للأفراد على أنماط سلوكهم ، كما تتحدد من خلال أهدافهم فى ميادين كثيرة من الحياة . والقيمة فى رأيه قد يعبر

عنها صراحة من خلال الألفاظ والعبارات أو ضمنيا كما تتكشف بشكل غير مباشر فيما يصدره الفرد من سلوك .

٤- القيم من خلال التصريح المباشر بها :

يعتقد العلماء الذين ينحون هذا المنحى أن التصريح المباشر بالقيم يمكن أن يدل على هذه القيم وبالتالى يمكن قياسها من خلاله . لذا ، فالقيمة عند « روكتش »، وهو أحد البارزين فى هذا التيار ، : « هى معتقد واحد ذو خط فى الدوام يحمل فى فحواه تفضيلا ، شخصيا أو اجتماعيا ، لغاية معينة من غايات الوجود ، أو لضرب معين من ضروب السلوك الموصلة إلى هذه الغاية » ، وبالتالى فالقيمة عنده هى مركز انتباه الفرد باعتبارها

تمثيلات رمزية أو معرفية Cognitive representation لحاجات الفرد أو حاجات المجتمع . وبذلك فإن الإنسان يصبح هو الكائن الوحيد الذى يمكنه عمل مثل هذه التمثيلات المعرفية . وبالتالى تكون التفرقة بين القيم والحاجات ، فإذا تصورنا أن القيم مساوية للحاجات فإنه يمكننا أن نتصور وجود قيم لدى الحيوانات مثلا ! !

ويؤخذ على هذا المنحى فى تعريف القيم ، وبخاصة عند روكتش ، أنه يركز على المعنى المجرد للقيم كترجمة لمفهومه عنها

كتمثيل رمزى وإحجامه عن التعامل مع جوانب القيم القابلة للملاحظة أو من خلال مايسبقها من مقدمات ، كالاتجاهات أو السلوك أو هما معا . كما يؤخذ عليه أيضا أنه قد تحكم قيمة معينة سلوك الفرد أو إتجاهاته دون أن يكون هذا الفرد واعياً بها على مستوى التصريح المباشر ، كذلك قد تنتظم قيمتان فى النسق القيمى لفرد ما حتى على مستوى الوعى بها والتصريح المباشر بها من قبل الشخص المؤمن بها دون أن يكون بمقدوره أن يفرق بينهما من حيث الأهمية بشكل يعكس أيهما أكثر أولوية مثل قيمتى : احترام الذات والاعتراف الاجتماعى . وأخيرا قد تتدخل الجاذبية الاجتماعية فى التصريح المباشر للأشخاص عن قيمهم .

٥- أساس عام لتعريف القيم :

على الرغم مما قد يبدو من تباين واختلاف كبير فى رؤى كل فئة من الفئات السابقة للقيم إلا أننا نستطيع أن نؤكد أن أوجه الاتفاق أكثر من نقاط الأختلاف ، فالأختلاف الرئيسى يكمن فى المؤشرات التى تدل على القيم ... فبعض الباحثين يرى قيام هذه المؤشرات فى دائرة الاتجاهات ، وبعضهم يراها قائمة فى دائرة الأنشطة السلوكية ، كما يراها آخرون قائمة فى مركب من الاتجاهات والسلوك ، وأخيرا يراها بعضهم الآخر فى التصريح

المباشر بها . فى حين أن الاتفاق يمتد لعناصر كثيرة منها ، أن أى قيمة عبارة عن تعميم يتصل بالأفعال أو السلوك أو الاتجاهات أو غيرها من مؤشرات ، وأنها ، أى القيمة ، تتضمن توجها معينا نحو خبرة ما . كما أن القيمة موضوع مرغوب دائما وأن أى هجوم عليه يثير الغضب لدى من يتمسكون بها . وللقيمة خاصية الأنتقاء والأختيار ، وهى تكشف عن نفسها من خلال الاختيار بين بدائل أو توجهات متعددة فى الحياة والقيمة تجعل الإنسان يتعامل مع خبرات الحياة المختلفة من خلال أفضل المسارات التى تمليها عليه . كما أن القيم تترتب داخل بناء يسمى النسق القيمى وهو يتضمن نوعيتين من القيم ، الأولى نهائية وتطلب لذاتها والثانية وسيطة وتتحقق من خلالها القيم الأولى . وتوجد القيم داخل النسق القيمى للفرد بالتفاعل والدينامية ، فهناك إمكانية التغير فى بناء القيم إذا ماتولدت صورة من صور التفاعل ، بين المرء بإمكاناته الشخصية ، وبعض المتغيرات الخارجية .

وتأسيسا على هذا كله نستطيع أن نحاول إعادة تعريف القيمة فى ضوء خصائصها السابقة، والتعريف التالى يصلح، حسب اعتقادنا ، كأساس عام لتحديد القيم ،(وبمقدورك أن تتقدم بتعريف أو أكثر شريطة أن يتضمن نفس مكوناته)

« القيم هى مجموعة من الأحكام المعيارية المتصلة بمضامين واقعية ، يتشربها الفرد من خلال انفعاله وتفاعله مع المواقف والخبرات المختلفة ويشترط أن تنال هذه الأحكام قبولا من جماعة اجتماعية معينة حتى تتجسد فى سياقات الفرد السلوكية أو اللفظية أو اتجاهاته واهتماماته » .

ولعل تحديدنا هذا يوضح أن القيم بكونها أحكاماً معيارية تصبح أكثر تجويدا من كل المتغيرات السيكولوجية كالاتجاه والهدف ، والعادة ، والسلوك ، والدافع ، وتصبح هذه المتغيرات مؤشرات ذاتية للقيم فى نفس الوقت . كما يؤكد التعريف كذلك أن القيم سواء ظلت كامنة أو أمكن التعبير عنها ، يسقطها الفرد على الأشياء ، أى أنها تنبع من ذاته شريطة أن يمر بالموقف الخبرى وينفعل به تأثيرا وتأثرا . وأخيرا فإن القيم مهما تشكلت وتعددت فهى بالضرورة اجتماعية وهذا شرط موضوعيتها ، بمعنى أنه مهما يكن اختيار القيمة فلابد أن يتجه سلوكنا بها إلى المجتمع بخبراته ومواقفه المتنوعة . فقيم مثل القيم الدينية والجمالية والسياسية والأخلاقية كلها قيم اجتماعية مهما كان مصدرها . كما أن القيم التى تتجه إلى الذات كالنجاح تتصل بدرجة أو بأخرى بمدى تقدير وتقبل الأخرى لها ، ومن ثم فهى إجتماعية .

٦- القيم وعلاقتها بالعادات والاتجاهات والأعراف الأجتماعية :

فى ضوء تحديدنا السابق لمفهوم القيمة تبين أن ثمة خلاقات جوهرية بين القيم وكثير من المتغيرات والمحددات السيكولوجية والاجتماعية .

(ا) القيم والعادات :

تتفق القيم مع العادات والاتجاهات فى كونها دوافع وطاقات للسلوك تتأثر بالسياق الثقافى للمجتمع ، على أن مصطلح العادة Habit يشير فى مفهومه السيكولوجى إلى حركة نمطية بسيطة تجلب اللذة لمن يقوم بها ، أى أنها مجرد سلوك متكرر لفرد معين بطريقة تلقائية فى مواقف محددة . فى حين أن القيمة تتضمن تنظيمات أكثر تعقيدا من السلوك المتكرر وأكثر تجريدا ، كما أنها تنطوى على أحكام معيارية للتميز بين الصواب والخطأ ، والخير والشر ، وهذا كله لايمكن توافره فى العادة .

(ب) القيم والاتجاهات :

فى ضوء تحديدنا السابق لمفهوم القيم نستطيع أن نبلور الفروق الجوهرية بين القيم والاتجاهات على النحو التالى :-

الخاصية	الاتجاه	القيمة
– درجة التجريد	أقل تجريدا	أكثر تجريدا وأكثر رمزية
– الثبات	أقل ثباتا لهذا فهو أسهل تغييرا	أكثر ثباتا فهى تتغير ببطء
– التكوين	يتكون بسرعة فهو لايحتاج لخبرات كثيرة	تتكون ببطء ، لحاجتها لاتجاهات وخبرات ومعارف كثيرة.
– درجة العمومية	يعبر عن موقف أو موضوع واحد أو عدد قليل من المواقف	لها صفة العمومية ، فهى تعبر عن أحكام عامة تعتمد على مجموعة من الاتجاهات .

الخاصية	الاتجاه	القيمة
- الموافقة الاجتماعية	قد لايحتاج لموافقة اجتماعية فهو مجرد ميل لفعل ما مرغوب حول موضوع معين	تتطلب موافقة اجتماعية لإقرارها فهى تعبير عن فعل اجتماعى من حيث أهدافه وموضوعه .
- درجة الوعى	يمثل وعيا فرديا من جانب محتضنه وهو تجدد له نشاطه الواقعى أو المحتمل وبالتالى فهو غير معيارى ولايصلح كأحكام نهائية	تمثل وعيا جماعيا لمحتضينها فهى ترسم لهم الأحكام والمعايير المتصلة بنشاطاتهم وتفاعلاتهم وبالتالى فهى معيارية

(جـ) القيم والأعراف الاجتماعية: Social norms

يفرق روكتش بين القيم والأعراف الاجتماعية من حيث أنه:

١- بينما تشير القيمة إلى ضرب من ضروب السلوك، أو غاية من غايات الوجود، فلا يشير العرف الاجتماعى إلا إلى ضرب من ضروب السلوك.

٢- بينما تتجاوز القيمة المواقف المحددة، يختص العرف بصيغة آمرة أو ناهية لآحد أشكال السلوك فى موقف معين بذاته.

٣- بينما تمثل القيمة أمراً داخلياً وشخصياً يقف العرف كصيغة خارجية.

ثانياً: تصنيف القيم:

ليس القصد من هذا الجزء تقديم تصنيف جامع مانع للقيم، فهناك استحالة لذلك لاختلاف الأطر الفلسفية والفكرية لكل تصنيف من هذه التصانيف، على أننا نستطيع أن نشير إلى ثلاث تصنيفات أساسية أولها؛ قدمه العالم الألمانى سبرنجر فى كتابه أنماط الناس Types of men حيث تصور إمكان تصنيف الأشخاص إلى ستة أنماط استنادا إلى غلبة واحدة من القيم التالية عليهم، حسب محتواها أو حسب ماتعكس من نشاطات إنسانية:

– ألقيمة النظرية ؛ وهى التى تتضمن اهتماما عميقا باكتشاف الحقيقة ، أو سيادة الاتجاهات المعرفية . وهى قيمة تجسد نمط العالم أو الفيلسوف .

– القيمة الاقتصادية ؛ والتى تتضمن غلبة الاهتمامات العملية والمنفعية والجوانب المعرفية فى الحياة ، وهى قيمة يتصف بها عادة رجال المال والأعمال .

– والقيمة الجمالية ؛ والتى تتضمن الحكم على الخبرات من منظور الجمال والتناسق والمواءمة ، وهى قيمة تصنف الشخص والاهتمامات والاتجاهات الجمالية فى الحياة كالفنانين وما شاكلهم .

– والقيمة الاجتماعية ؛ والتى تتضمن محبة الناس وادراكهم كغايات لا كوسائل لمآرب أخرى بشكل يجسد نمط الشخص الاجتماعى . والقيمة الدينية ؛ والتى تتضمن اهتماما بالشئون الدينية والسعى نحوها ، وهى قيمة وصفة لرجل الدين .

– وأخيرا القيمة السياسية ؛ والتى تملى توجها حيال العلاقات الاجتماعية ليس بدافع الحب ولكن بدافع السيطرة والرغبة فى القوة . وهى قيمة تظهر لدى رجال الحرب والسياسة والقادة فى المجالات المختلفة .

وبديهى أن هذا التقسيم للقيم لايعنى أن الأفراد يتوزعون عليها ولكنه يعنى أن هذه القيم توجد جميعها فى كل فرد غير أنها تختلف فى ترتيبها قوة وضعفا . على أن هذا التصنيف والذى نال شهرة كبيرة لفترة طويلة يصنف القيم وفقا لمحور واحد فقط هو مضمون القيم ويغفل محاور أخرى يمكن أن تصنف حولها القيم . كما أنه يتناسى أن القيم مهما يكن مصدرها فهى قيم اجتماعية بالضرورة على الأقل من حيث التطبيق .

كما قام موريس Morris بتصنيف القيم وفقا لمستوياتها فهناك القيم العضوية ، والقيم النوعية ، والقيم الشخصية ، والقيم الاجتماعية ، والقيم الثقافية فى أعلاها .

وقد تصدى ريشر Rescher لوضع تصنيف للقيم يعد من أكثر التصانيف شمولا ، فهو يرى إمكانية تصنيف القيم وفقا لمحكات متعددة على شكل متصل (طرفى نقيض) على النحو التالى :-

(ا)معيار: الذاتية - الموضوعية :

فالقيم ذاتية من حيث نظرة محتضنيها إليها كأفضل الغايات .

وهى موضوعية من حيث إمكانية قياسها لدى الأفراد وإمكانية التمييز بينهم على أساس وضع القيمة النسبى .

(ب)معيار: العمومية – التخصيص :

فهى عامة بقدر مايكون الاهتمام بها قائما على مستوى المجتمع بصفة عامة .

وهى خاصة بقدر مايكون الاهتمام متعلقا بفئة معينة كالعلماء مثلا .

(جـ) معيار: النهائية – الوسيطية :

ويعنى هذا مقدار مايرى الفرد قيمة معينة على أنها وسيلة إلى غاية أخرى أو أنها غاية فى حد ذاتها .

(د) معيار المضمون:

كأن تكون هناك قيم أخلاقية ، أو قيم تختص بالعمل ، أو قيم تختص بالعلاقات بين الأشخاص ....الخ .

(هـ) معيار العلاقة بين محتضن القيمة والمستفيد منها كأن تكون هناك:

–قيم متجهة إلى الذات (كالنجاح والراحة) .

–قيم متجهة إلى الآخرين كالقيم العائلية والقيم الوطنية .. وما إلى ذلك .

ثالثاً: النسق القيمى: مكوناته وديناميياته:

١– يعرف النسق القيمى بأنه « نموذج منظم للقيم فى مجتمع

أو جماعة ما ، وتتميز القيم الفردية فيه بالأرتباط المتبادل الذى يجعلها تدعم بعضها بعضاً وتكون كلا متكاملاً » . وهو بالتالى مكون رئيسى للبناء الثقافى للمجتمع فهو الذى يحافظ عليه ويدعم وجوده .

٢- وتبدو أهمية النسق القيمى للفرد فى قدرته على السماح له بتطوير توقعاته المستقرة عن سلوك الأخرين ، وتمكينه للأفراد الآخرين من أداء الالتزامات المختلفة لأدوارهم . وهكذا يصبح من الممكن التنبؤ بالسلوك الفردى والجماعى والتأثير المباشر فى أنماطها . وعلى المستوى الاجتماعى نجد أن النسق القيمى يؤدى مجموعة من الوظائف لعل من أهمها كما يذكرها اختصاصى :

(ا) **ربط أجزاء الثقافة بعضها بالآخر** : فترابط العناصر المتعددة والنظم حتى تبدو متناسقة ، كما أنها تعمل على إعطاء هذه النظم أساسا عقليا يستقر فى ذهن أعضاء المجتمع المنتمين إلى هذه الثقافة أو تلك .

(ب) **تزود القيم ، أعضاء المجتمع بمعنى الحياة والهدف الذى يجمعهم من أجل البقاء:**

ويتضح هذا من أن نسق القيم يجعل الأفراد يفكرون فى أعمالهم على أنها محاولات للوصول إلى أهداف هى غايات فى

حد ذاتها ، بدلا من النظر إلى هذه الأعمال على أنها محاولات لإشباع الرغبات والدوافع ، ومن ثم يكون عليهم استقصاء مافى هذه الدوافع من فائدة تستحق العناء ، ولذلك تكون القيم العليا فى أى جماعة ، هى الهدف الذى يسعى جميع أعضائها للوصول إليه إلى جانب أنها تعطى مبررا هاما للوجود .

٣- وتترتب القيم فى مستويات مختلفة داخل النسق القيمى حسب أولوياتها وأهميتها ، بحيث تبدو وكأنها مرتبة فى سلم ، ويكون على رأس هذا السلم القيمى أكثر القيم غلبة وقدسيه وأكثرها إلحاحا وأهمية بالنسبة للأفراد وللجماعات وهذه القيم تكون واسعة الانتشار وتحظى بمكانة اجتماعية عالية وتفرض قوتى العرف والقانون فى المجتمع فرضها . ويطلق على القيم داخل هذا المستوى القيم الإلزامية ، ومن أمثلتها مسئولية الأب نحو أسرته ، وتنظيم العلاقة بين الجنسين.ويلى القيم الإلزامية مستوى آخر من القيم يشجعها المجتمع ويدعو للاقتداء بها ويكافئ من ينجح فيها ولكن بدون الزام من القوانين والأعراف الاجتماعية.ومن أمثلة هذه القيم ، والتى تسمى القيم التفضيلية ، النجاح فى الحياة العملية ، والحصول على الثروة ، والترقى فى ميدان العمل . أما المستوى الثالث فى تدرج القيم داخل السلم القيمى فهو مجموعة

القيم المثالية والتى يستحيل تحقيقها بصورة كاملة ، ولكنها تؤثر فى توجيه سلوك الأفراد ، لذا يدعو إليها المجتمع دون أمل كبير فى تحقيقها بصورتها المثالية . ومن أمثلتها مقابلة الإساءة بالإحسان ، فقد يعجز الفرد فى واقع الأمر عن الالتزام بها ، ولكنه مع ذلك إذا تبناها عدل كثيرا من سلوكه حيال من يعتدون عليه أو يسيئون إليه .

٤- قد تختلف القيم وتتعارض مع بعضها داخل النسق القيمى للشخص الواحد كأن يكون عند الشخص قيمة النظافة وقيمة الراحة فى نفس الوقت ، وكما قد يكون عنده قيمة الكرم وقيمة حب المال فى وقت واحد . وهنا نجد أن سلوكه سوف يتوقف على ترتيب هذه القيم لديه ، بمعنى أن سلوكه يعتمد على أولويات السلم القيمى . كما قد توجد نفس القيم عند شخصين مختلفين ومع ذلك فإن كل منهما يسلك سلوكا مختلفا . وتفسير ذلك واضح بأنه نتيجة اختلاف ترتيب هذه القيم داخل النسق القيمى عند الشخصين .

وكما أن هناك تباينا كبيرا بين الأنساق القيمية للأفراد فإن هناك اختلافا كبيرا فى القيم داخل الأنساق القيمية لكل مجتمع من المجتمعات . ففي حين تعلى بعض المجتمعات النامية من قيم

كالكرم والشهامة والرجولة ويعد الشخص الذى لاتوجد عنده هذه القيم منبوذا من أفراد المجتمع ، نجد أن هذه القيم ليس لها نفس الأهمية فى المجتمعات الصناعية حيث تحتل قيم أخرى مثل قيمة الإتقان والدقة مثلا مركز الصدارة . كذلك نجد أن قيمة الحرية تعتبر المبدأ الأصيل لكل القيم التابعة فى المجتمعات الغربية ، فى حين أن المجتمعات الإسلامية ترفع « العدالة » لتجعل منها القيمة العليا ، على العكس من الفكر الشيوعى الذى يجعل قيمته العليا هى المساواة . وهذا يوضح بجلاء مدى التباين فى القيم ونسبيتها .

٥- ويتسم النسق القيمى للفرد بالمرونة والوظيفة فهو يتشكل وفقا لواقع الفرد وإمكاناته ومواصفاته ، فكثيرا مايتفكك هذا النسق ويعاد ترتيبه من جديد فى ضوء التغيرات والتحولات الاجتماعية والفكرية الجديدة . ومايحدث للنسق القيمى للفرد يحدث للنسق القيمى الاجتماعى باعتبار أن المجتمع امتداد للإنسان الفرد . فعندما يحدث تغيير اجتماعى معين أو تقوم صراعات اجتماعية أو ثقافية بصفة عامة فإنه يحدث للقيم عمليات تغيير أو يقال لها عمليات تحول للقيم . وقد يأخذ التحول أو التغير القيمى اتجاها رأسيا وفيه يعاد ترتيب وضع

القيمة على السلم القيمى ، وقد يكون فى إتجاه أفقي وفيه يحدث تحول فى تعديل وتفسير مضمون القيمة نفسها .

وعموما ، فإن التغييرات أو الصراعات القيمية داخل نسق القيم الفردى والاجتماعى تقوم على عوامل كثيرة ، لعل من أهمها ، التحولات الاجتماعية ، وعمليات التنشئة الاجتماعية ، وطبيعة القيم السائدة ومدى رسوخها ، والفروق الفسيولوجية والنفسية والاجتماعية بين الأجيال ، مدى سيادة النزعة الأبوية .

ومن المهم أن نتوقف عند أهم هذه العوامل ، وهو فى تقديرنا ، التحولات الاجتماعية داخل المجتمع ، فإذا كانت هناك سرعة فى حدوث هذه التحولات أو تضارب بينها وبين الواقع الموجود بالفعل فإنها سرعان ماتحدث صراعات قيمية إما أن تتمخض عن تذبذب قيمى لدى الأفراد أو حدوث تحولات وتغييرات قيمية . ولعل أوضح مثال ذلك التحولات التى حدثت فى مصر خلال العقدين الاخيرين فقط ، أى عقد الستينات وعقد السبعينات . ففي الستينات أعلنت القيادة السياسية عزمها على الاتجاه نحو الاشتراكية العلمية بعنصريها الكفاية والعدل ... وبرز دور القطاع العام فى مساعدة التنمية الاقتصادية فى المجتمع ، وتجسدت حركة الشعب فى التنظيم

السياسى الواحد ، واتبعت سياسة الحياد الإيجابى ، وإن كان هناك تحالف حقيقي مع الاتحاد السوفيتى كما قاد كل هذه التحولات نظام شمولى قائم على سلطة الزعيم (أو الأب) كمتسلط على المجتمع . على أننا فوجئنا فى السبعينات بالانتقال اقتصاديا إلى سياسة الانفتاح الاقتصادى ، وتحجيم القطاع العام ، وتحويل الاهتمام بالصناعة إلى قطاع الخدمات ومجالات التشييد والتجارة ، وفى المجال السياسى حدث اتجاه نحو الولايات المتحدة الأمريكية ، وتغيرت أسس الحكم من الحزب الواحد إلى تعدد الأحزاب وإن بقي الحكم الأبوى الفردى هو السمة المشتركة بين العهدين . كما تذبذبت الانتماءات الفكرية مابين الانتماء الفرعونى ، والأفريقي ، والعربى ، والإسلامى ، والاشتراكى والانفتاحى .

ومما لاشك فيه أن كل هذه التحولات الاجتماعية السريعة أدت إلى صراعات قيمية خطيرة مازالت تتفاعل حتى اليوم ، وقد كان من المستحيل لتحولات كهذه أن تشارك فى صنع قيم ثابتة فأى قيم يكونها الفرد: هى قيم فردية رأسمالية ، أو جماعية اشتراكية ، أم أنها تنتمى إلى تراث الآصالة والدين ؟!

ويتناول الجزء الثانى باستفاضة أهم القيم التى تمخضت عنها

التغيرات التى شهدها مجتمعنا فى العقدين الأخيرين ، الإيجابى منها والسلبى .

رابعاً: نماذج من قيمنا الاجتماعية:

تكشف لنا من قبل كيف أن النسق القيمى لفرد أو مجتمع ما ، كثيرا مايتضمن قيما مدعمة لحركة المجتمع وتقدمه فى الوقت الذى قد يتضمن قيما مناهضة لهذه الحركة . ويتحدد حكمنا الخلقى على القيم بأنها إيجابية (مدعمة) أو سلبية (مناهضة) وفقا لما تواضع عليه المجتمع من أهداف وماترسمه من غايات ومثل عليا . ونحن نعلم أن مجتمعنا يسعى لتحقيق تقدمه وتطوره من خلال إحداث عمليات تنموية مجتمعية (أى ذات دلالات اقتصادية وتكنولوجية واجتماعية .... الخ) . ويعتبر الإنسان محور كل هذه العمليات وقلبها ، فإذا ما احتوى نسقه القيمى على قيم تناهض أو تشوه هذه الأهداف الغالية لتحافظ على حالة التخلف ، عند ذلك تصبح هذه القيم مستهجنة أو مشجوبة من المجتمع وأفراده ، فى حين تصبح القيم مرغوبة ومستهدفة إذا ماكانت بمثابة طاقات دافعة للإنسان للمساهمة النشطة فى عمليات التنمية والإنتاج .

وتأسيسا على ذلك ، فإن غايتنا المتواضعة من هذا الكتاب

توضيح بعض القيم التى تسيطر على سلوكنا واتجاهاتنا النفسية والاجتماعية ، فتعوق توجهاتنا نحو التنمية والتقدم أو تلك القيم التى تساعدنا فى تحقيق مسيرة التقدم والتنمية .

وكما سبق وسلمنا بأن القيم ، آيا كانت مقبولة أو مرفوضة ، مرغوبة أو مستهجنة ، هى إفراز للتنظيم الاجتماعى بعلاقاته التاريخية والاجتماعية فإننا فى ضوء الحدود المرسومة لهذه الدراسة سوف نحاول تقديم لمحات سريعة لبعض تلك القيم التى يؤكد الجميع على انتشارها مع إبراز السياق التاريخى لنشأتها والعلاقات الاجتماعية التى أفرزتها . على أننا نؤكد قبل أن نبدأ بأن بعضا من القيم السلبية التى سنتناولها قد بدأت فى الاختفاء والزوال من قطاعات عديدة من المجتمع ، ونتمنى زوالها نهائيا -هىوأخواتها- من باقى قطاعات المجتمع ، وماتصدينا لها إلا لكشفها وتوضيحها بالقدر الذى يمكننا من مواجهتها والقضاء عليها .

١ - القيم الأبوية الاستبدادية:

يتأسس البناء الأسرى وكذا البناء الاجتماعى بكل مؤسساته ، على تقديس تسلط الأب (أو بديله كالأخ الأكبر أو العم أو المعلم أو رئيس العمل ... الخ) . وداخل هذا البناء

يوجد نسق هرمى يقوم على السلطة والقسوة يتبوأ فيه الأب (أو من يمثله) مكان الصدارة ، فهو « رب » الأسرة وصاحب الرأى الأوحد والمسئول عنها بأكملها ، فى حين يحتل الطفل (أو بديله كالموظف أو المرؤوس) قاع هذا النسق ! .

وتسير السلطة والأوامر فى قناة ذات اتجاه واحد فقط هو بالطبع من أعلى ، أى من الأب ، إلى أسفل ، حيث الأبناء وباقى أفراد الأسرة أو النظام الاجتماعى . هذه السلطة الفوقية يقابلها نظام اجتماعى مماثل فى الهرمية والتسلسل والخضوع .

والنظام الاجتماعى والأسرى ، يستهدف إخضاع الفرد وصهره داخل قوالب جامدة يريده عليها المجتمع ، قوالب فى معظمها لاتقبل منطق التغيير ولاتتسق مع القيم المسيطرة ، وتعكس الأمثال الشعبية والأغانى مثل هذه التوجهات السلوكية الجامدة عند ماتلزم الأبناء بأن يكونوا على صورة آبائهم « اللى أبوك عليه انت عليه » ، اللى ماله خير فى أباه ياغريب ماتسترجاه »أو كما فى« الأبن سر أبوه »!!! .

وكثيرا ماتلجأ نظم التربية الأسرية والاجتماعية إلى أساليب تأديبية كثيرة من أجل تحقيق اخضاع الفرد وسلبيته . فهى ، مثلاً ، تعتمد على التلقين كطريقة لتأديب الفرد وتربيته لكى

يكون مطيعا وسلبيا ، تحت دعوى نقل قيم المجتمع إليه وتشريبه إياها ، أو تعمد إلى توقيع عقوبات نفسية هائله عليه بهدف إشعاره بالاثم والذنب من خلال تحقيره أو تصغيره وتقزيمه وتأكيد شعوره بالخجل ، أو من خلال إشعاره بالعجز كما فى العقاب البدنى (أكسر للعيّل ضلع يطلع له اثنين) ! !

والواقع أن لهذه الأساليب عواقب وخيمة فى ثقة الفرد بنفسه وعلى استقلاليته ، فهذه الأساليب القهرية فى ضبط السلوك تترك ولاشك جروحاً ورواسب عميقة فى الفرد ، أقلها إحساسه بالذنب أو احتقار الذات ، الأمر الذى قد يظهر ، فيما بعد ، فى محاولته للنيل من غيره أو إذلالهم أو فى لجوئه للغش والتمويه والخداع كما يحدث فى الامتحانات أو فى اتباع أنماط سلوكية انتهازية . أو قد تدفعه لقبول القهر والاضطهاد بل واتباع أساليب الالتواء والتمويه فى تفاعلاته الاجتماعية . كما أن أسلوب التلقين ، من حيث هو طريقة للحفظ والصم دون تساؤل وفهم واستيعاب ، له نتائج قاسية على عقلية الفرد ، حيث يتحول إلى ببغاء يردد مايسمع فقط ، ويستبعد كلما يثير التساؤل ، وبالتالى تتعطل طاقاته الإبداعية ويستبدل بها قوالب فكرية جاهزة .

وعليه ؛ فإن القيم الأبوية فى مجتمعنا التى تذكى صاحب السلطة أو الكبير فى السن فتجعله يحوز ويتحكم فى حين أنّ على الناس أن ترضخ وتتقبل ، ليست إلا امتداداً لصورة الأب فى الأسرة أو صورة مكبرة منها ، بتصرفاته ونظرته المتضخمة لذاته ، ولعتوّه ، وعلاقته بمن هم دونه .

هذه هى طبيعة العلاقات الحقيقية الموضوعية التى تحكم وتسود والتى لاينالها التغير مهما تَقَوْلَبَتْ صورة الأب ، قاسياً أو متسامحاً ، جاهلاً أو مثقفاً ، فإن غابت هذه القيم أحيانا بفعل التحضر فهى تتخفى فى أشكال ضمنية أو خفية أكثر قسوة وتسلطية .

عموما ؛ فإن هذه القيم تتولى بتر أى مبادرات إيجابية لدى الأفراد ، وتحدد مكانتهم وأدوارهم تحديدا قاطعا بما يثير اليأس ويَذْبَح الطموحات . كما أنها تضعف ثقة الفرد بذاته وتهون من استقلاليته ، فيقوى اعتماده على الغير ، ويذعن لأى سلطة أقوى منه أو أكبر منه سنا ، كما تتصاعد عنده روح الذلة والمسكنة والركوع للرئيس عندما يقول الفرد فى المثل الشعبى« أنا أول المنصاعين وآخر العاصين » أى أنه مطيع فهو أول من يطيع الأوامر وآخر من يخالفونها فليس له رأى .

كما أن مثل هذه القيم تجعل الفرد يلجأ للمداهنات والنفاق من قبيل (إن كان لك عند الكلب حاجة قل له ياسيد) ، وكل هذه الأشكال ماهى إلاّ منافذ تعويضية يسلكها الفرد لتأكيد ذاته المفقودة . ومن هنا تتخلق شخصية الإنسان المتهرئ المتردد العاجز عن إصدار قراراته بنفسه وبالتالى العاجز عن خدمة وطنه وعالمه .

والحقيقة أن هذه القيم الأبوية التسلطية قد سادت مجتمعنا منذ سنوات بعيدة حتى وقت قريب فاكتوت الأجيال الجديدة بشرورها ، لكن كثرة وعنف وسرعة ماتعرض له المجتمع المصرى فى العقود الأخيرة من أحداث أحدثت تصدعا فى هذا البناء القيمى ليشهد- داخل عدد من الأسر أخذ يتزايد شيئا فشيئا الوجه الآخر للتسلط ، وهو التسيب ..

وهنا نشعر بالحاجة الماسة إلى جهد المؤسسات التربوية لإيجاد التوازن المرغوب فيه ، فإذا كانت الأبوية تتسلط بضراوة على شخصيات أجيالنا فليس الحل أبدا انهيار هذه القيم دون أن يواكبها بناء بديل .

٢- قيم الأنانية الطفيلية والفساد:

كان من نتائج التنشئة الأسرية الاجتماعية فى مجتمعنا ظهور بعض القيم ذات الصبغة الأنانية وهى فى جانب منها فردية ،

أى تتصل بالفرد ذاته ومحاولته البحث عن هذه الذات . فالتسلط الأبوى (أو مايحل محله) يسلب الفرد ثقته فى ذاته وبالتالى استقلاليته مما يدفعه دفعا ، عندما تتاح له أى فرصة مواتية ، إلى تعويض هذا الشعور بالنقص وذلك من خلال الآخرين ويتخذ موقف الأثرة المتناهية على حساب غيره من البشر . أما فى الجانب الآخر فهى جماعية وإن كانت متجهة إلى الداخل ، بمعنى أن الفرد على الرغم من تشوقه للتخلص من القيود والضغوط الاسرية التسلطية إلا أنه يظل مرتبطا بأسرته أو عائلته وعشيرته على حساب وطنه ومصالح هذا الوطن ، فيظل باستمرار يحابى ماهو عائلى وشخصى على ما هو وطنى وقومى . وواضح أن هذه القيم (الفردية والجماعية) تتجه ضد حركة المجتمع وتقدمه فى كثير من الأحيان ، كما تشكل الفرد سلبيا أنانيا يدير ظهره لقضايا مجتمعه وجماهير هذا المجتمع . وتتجسد هذه القيم السلبية فى المثل الشعبى الذى يقول : « أنا واخويا على ابن عمى وأنا وابن عمى على الغريب » وغيرها من أمثال تؤكد على الأثرة والفردية والقبلية كما تظهر فى عدم محافظة الفرد على الممتلكات العامة .

والمتفحص لهذه القيم يجد أصولها وجذورها داخل النظم الاجتماعية والأسرية ، فعلاقات الشجار والتنافس داخلها قد

توجه نظر الأفراد ، وبخاصة الصغار ، إلى محاكاتها . فالتنافس كقيمة اجتماعية تدفع الأطفال عند تشربهم بها إلى التنافس على موضوع عزيز ، رضا الأم ومحبتها على سبيل المثال ، فتكون هذه المحبة مثار تشاحن وخلاف بين الأبناء ، كما قد تثير الحقد والحسد الكامن .. وهنا يلعب موقف الأم دورا أساسيا فى تعزيز هذه المشاعر أو فضها . . فإذا اتسم سلوك الأم بالتحيز نحو أحد أبنائها ، ولو عن غير قصد ، فقد يكون له أثر مدمر فى مسلك الابن تجاه نفسه وتجاه الآخرين ، كما تقوى عنده قيمة الاستحواز والأنانية كرد فعل سلبى لتجاهله وهنا يعتبر« نجاح أخى يعنى فشلى »وقد يعمم فيصبح نجاح أى قريب أو زميل يعنى فشلى ولعلك تستطيع أن تلمس الروح الأنانية والسلوك الفردى ، عندما تلاحظ حركة المرور فى الشوارع وكيف أن كل سائق يود أن يتخطى غيره مهما كانت النتائج والعواقب !

وحول مثل هذه القيم الأنانية والمعادية للمجتمع تتشكل أنماط سلوكية تعمل العلاقات الاجتماعية الهابطة على ذيوعها وانتشارها ، وتتفشى أخلاق الأثرة والفردية ، كالتسلق ، والانتهازية ، والنفاق ، وطرق الثراء العاجل غير المشروع ، وغيرها من أخلاق الأزمات . كما أن هذه القيم شكلت

فئة« محدثى النعمة » ، الذين كثرت أعدادهم فى السنوات الأخيرة ، تلك الفئة من البشر التى لم تراع حدود الله فى تعاملاتها ، فاستطاعت بالاحتيال والنصب وإستغلال القدر المتاح لها من المسئولية والتزلف للسلطة أن تمتلك الملايين بدون وجه حق وأن تستغل الملايين بطرق غير مشروعة تعتمد على خلق السوق السوداء والتهرب من الضرائب والمضاربات على العملات وتهريب المخدرات والأغذية الفاسدة والأدوية الفاسدة .

وبديهى أنه على الرغم من ضآلة حجم هذه الفئة الطفيلية إلا أنها استطاعت أن تهز التوازن الاجتماعى هزا عنيفا وأن تؤثر فى أنماط توزيع الدخل القومى إلى حد بعيد .

فتوضح الإحصاءات الرسمية أن نسبة ٥٪ فقط من المصريين تحصل على ٢٠٪ من الدخل القومى ، وفى المقابل فإن ٢٠٪ من المصريين لاينالون سوى ٥٪ من الدخل القومى ، وأن نسبة المصريين الذين يعيشون تحت مايسمى بخط الفقر ، أى الحد الأدنى لمستوى المعيشة تبلغ ٤٤٪ فى الريف و ٣٣٪ فى الحضر و٣٧٪ على المستوى القومى ! ! .

وقد ترتب على التركيز الإعلامى المستمر على نماذج الرأسمالية

الطفيلية ظهور أنماط سلوكية منحرفة لوثت السلوك الإدارى وأفسدته ، وقد اتسمت فى البداية بالتخفي خشية ازدراء المجتمع لها .. على أنها بالتدريج أخذت طريقها نحو القبول من قطاعات متزايدة من المواطنين ، إلى الحد الذى أدى إلى الاعتراف ببعضها كسلوك اجتماعى مقبول ولم تعد ظاهرة شاذة أو استثنائية ! ومن بين هذه الأشكال تقديم مقابل لأداء الخدمة العامة ، كما فى السمسرة وعمولات الكبار المشروع منها وغير المشروع ، والتى زادت من تكلفة المشروعات القومية وحملت الدولة أعباء باهظة . كذلك أخذت هذه الأشكال صورة الرشاوى والبقشيش التى تدفع كمقابل للحصول على خدمة المستشفيات العامة ، والدروس الخصوصية . كما أن هذه الأشكال تجسدت فى سيطرة التنظيم الإدارى غير الرسمى ، أى القائم على العلاقات العائلية والقرابية والولاءات الشخصية والشلل والاختلاسات وتدخلات السكرتاريين الخاصين بكل رئيس عمل .. وقد شكلت هذه العناصر المنحرفة مايشبه الأخطبوط أو عصابات المافيا فى ميدان إنجاز العمل الإدارى وفرضت سيطرتها عليه .

من كل هذا يتجلى لنا مرة أخرى ، كيف أن أنماط التربية الأسرية والاجتماعية ذات تأثير بالغ وخطير فى تشكيل بنية

الإنسان القيمية والخلقية ، وبالتالى فى تحديد القوى الاجتماعية التى تعضد أو تجهض محاولات المجتمع التنمويه . فلولا أن الأسرة والمجتمع قد سمحا بهذه السلوكيات لما كانت .

٣ - قيم الاستهلاك والعمل غير المنتج :

أسهم الانفتاح الاقتصادى وتسابق الأفراد على العمل أو الهجرة للخارج وكذا تركيز وسائل الإعلام على الترويج للمنتجات الأجنبية المادية والثقافية فى تشكيل أنماط سلوكية استهلاكية شاذة وكمالية ، تمثلتها فئات الرأسمالية الطفيلية التى اتجهت ، تحت التأثير المبهر لوسائل الإعلام والانفتاح الاقتصادى ، إلى محاكاة أنماط الاستهلاك الغربى القائم على الترف والبذخ ، والمبالغات العاطفية والحركية واللفظية . وبديهى أن مثل هذه الأنماط الاستهلاكية هدفها الربح مهما كانت النتائج ، على أنها تعجز عن إشباع حاجات الإنسان الحقيقية . فالإعلانات البراقة والمكثفة لوسائل الإعلام الجماهيرية تعمل على إعادة صياغة ذوق المستهلك المصرى على النحو الذى ينشر معه سلوك استهلاكى تافه يحرك رغبات الفرد السطحية ، من حيث الارتباط بالمظهر على حساب الجوهر والمضمون ، كما تنزع إلى إيجاد تميزات وصراعات طبقية بين الجماهير ، إذ تقنع البعض

بأنه إذا لم يمتلك سيارة فارهة الطول مثلا أو لم يدخن سيجارة من نوع وطول معينين ، أو إذا لم يرتد ملابس باهظة الثمن أو ربطة عنق من نوع معين مصنوع فى بلد ما .. أو أنه إذا لم يتصرف ويجامل ويبالغ فى حركاته العلنية وتصريحاته السياسية .. إذا لم يفعل كل هذا فإن المجتمع لن ينظر إليه بتقدير واحترام وسوف يعتبره من طبقات دنيا ، فإذا لم يحصل عليها بالفعل أحس بالدونية وظهر الحقد والصراع القيمى والاجتماعى .

وهكذا فإن وسائل الإعلام الجماهيرية بهذا الشكل تتجه لتبخير طاقات العمل والإنتاج للمواطنين فى منافذ سطحية وهمية وتافهة . كما أنها تجعلهم باستمرار يتعاطون المنتجات السلبية من الحضارة الغربية دون أن يدركوا أنهم فى وهم عظيم .. حيث يتوهمون أن استيراد هذه الجوانب من الحضارة سوف يجعلهم عصريين أو متقدمين . وفى حقيقة الأمر فإنه يجعلنا نبتعد تدريجيا بهذا السلوك عن حضارة العصر ونكتسب عقليه المستعمر ، الأمر الذى ينتهى بنا إلى عقدة نقص نهائية . فالانسياق الأعمى وراء تلك القيم الاستهلاكية يذهب بنا بعيدا عن العمل المنتج بل يشوه أى قيمة للعمل الاجتماعى ويقاوم أى حركة للتغيير الاجتماعى ويلهى الناس بالأمور التافهة المثيرة على حساب تدعيم القيم الإيجابية فى الإنسان المصرى ، كما تدفع عقولنا إلى

الاسترخاء حتى تتحلل.وهنا تظهر أهمية التحرك السريع والعاجل للسيطرة على منافذ هذه القيم الاستهلاكية وتوجيهها بحيث تركز على قيم العمل الاجتماعى المنتج الذى يقودنا بقوة لزيادة إنتاجنا على النحو الكفيل باستهلاكه وفقا لاحتياجاتنا الحقيقية . وهنا يتجلى دور وسائط التربية المدرسى منها وغير المدرسى .

٤- القيم المكبلة لطاقات المرأة والشباب:

(ا) تغالى التنشئة الأسرية والاجتماعية فى مجتمعنا الأبوى من الإعلام من قدر الرجل فى حين تقلل من مكانة المرأة ومن أثرها فى المجتمع . ولايتوقف الأمر عند هذا الحد ، بل إنه يصل أحيانا إلى مستوى الاضطهاد ، إذا لم يكن علنيا فهو خفى أو كامن ، كما أن هناك عدم الثقة فى المرأة والشك المرير الذى تظهره الأمثال الشعبية كما فى« آمن للحية ولا تآمن للمرأة » ، لا تأمن للمرأة إذا صلت ولا للشمس إذا ولت » ،« اللى مالوش مرأة مالوش عدو » كما ينظر غالبا ، للمرأة فى صورة المكسورة الجناح ، الضعيفة الملتوية ، صورة التابع أو العبد الذى لاحول له ولاقوة إلا بارادة سيده . فالرجل هو الذى يخلع القيمة الاجتماعية على المرأة ولاينظر إليها المجتمع إلا من خلال زوجها.

فعلى الرغم من كون المرأة تمثل نصف المجتمع كميا ، إلا أنها ظلت عبر عهود طويلة مضت محرومة من الإسهام فى العمل

والإنتاج ؛ وكذلك من التعليم (أكثر من ٧٠٪ من النساء جاهلات) ، ومن هنا فعلى الرغم من أن القوانين الآن لاتوصد أمامها أبواب التعليم إلا أن نسبة الأميات بين النساء تفوق مثيلتها عند الرجال ، كما تنخفض نسبة مشاركتها فى العمل إلى ٧٪ فقط ... إلى جانب الإلحاح المستمر والمتكرر من وسائل الإعلام والآداب على تخليق صورة للمرأة تبدو فيها وكأن وظائفها الوحيدة فى الحياة هى الإنجاب أو أداء الأعمال التقليدية فى المنزل فقط ، فهى تربى على أنها الزوجة الخادم أو« الزوجة ست البيت » وبالرغم من ذلك فهى لاتستطيع أن تحوز هذا اللقب (أى الزوجة) قبل أن تنجب أولادها وبخاصة ابنها البكر الذى يمثل إثباتاً لأنوثتها المشكوك فيها قبل أن تنجبه ! كما تصورها الأمثال فى صورة الزوجة الذليلة التى لاتعصى أمرا للرجل .

من هنا فإن التنشئة الاجتماعية للبنت منذ ولادتها تركز على إشعارها بأنها ضئيلة الأهمية وأنها فرد غير مرغوب فيه لذا فإن البنت تلقى عناية واهتماما أقل من إخوتها الذكور . ورب ضارة نافعة .. فهذا السلوك فى تربية البنت يجعلها تعتمد على نفسها فى كثير من الأحيان وتصبح أكثر

.مقدرة ونجاحا فى مواجهة المصاعب بالمقارنة بأخيها المدلل غالبا والذى تجند له الأسرة كل طاقاتها واهتماماتها . وفى هذا يقول المثل الشعبى « جدار البنت على المعين وجدار الولد عايم » أى أن البنت تشبه فى قوة تحملها للصدمات الشجرة ذات الجذور الطويلة التى تصل إلى المياه الجوفية فى الأرض والتى تسمى« الماء المعين » ، فأصبح أصلها ثابتا قويا وأصبحت شديدة المقاومة للعواصف والعوارض الجوية ، كما أصبحت فى غير حاجة إلى تعهد الناس لها بالسقيا ، ويشبه الولد الذكر فى ضعف مقاومته وشدة حاجته إلى الرعاية وتعرض حياته للأخطار بشجرة ضعيفة جذورها عائمة على وجه الأرض .

وتكشف هذه القيم عن مدى تعسف المجتمع ضد المرأة واضطهاده لها ، مع العلم ، بأن أية محاولة حقيقية لإحداث التغيير والتنمية والتقدم ، لن تمر الا بمشاركة جماعية بين الرجل والمرأة فى البناء .. فالمرأة على الرغم من ضآلة دورها فى الحياة العامة إلا أن أثرها الخفى فى الأسرة بعيد المدى من حيث كونها زوجة وأماً وشقيقة وجدة . فإذا ماأضفنا إليها دورها كمشاركة فى بناء المجتمع وتنميته فإن المحصلة سوف تكون غاية فى الإيجابية والفعالية .

على أن هذا الهدف لن يتسير له أن يكون إلا بتغيير أساليب تعاملنا مع المرأة ، صغيرة أو كبيرة ، وتغيير أدوارها الأسرية والاجتماعية على نحو لايتعارض مع مايقره الدين الحنيف ، وتأكيد احترامها كإنسان منتج ومبدع له حق الإسهام بطاقاته الإنتاجية والإبداعية فى حل مشكلات وطنه . بدون كل هذا لن نحصد للتنمية نتائج مثمرة .

(ب) وأيضا نجد أن نظمنا التربوية والاجتماعية تعلى من مكانة كبير السن ، لسلطته وحكمته وخبراته ، وفى المقابل تهون من قدر الشباب ، وتسخر من حماستهم وطموحاتهم الواسعة . وعلى الرغم من كون الشباب يمثلون نصف الحاضر وكل المستقبل ، كما يتردد كثيرا على ألسنة المسئولين ، إلا أنهم مازالوا يعانون من الكبت والأب المتزمت المتصلط (أو من يمثله) . . كما أنهم مازالوا يعانون من تقييد حرياتهم فى مجالات أثيرة لديهم أهمها حرياتهم فى تقرير مصيرهم وفى تكوين آراء مستقلة .

فمازال الشباب يعانى من عمليات غسيل المخ اليومية التى تقوم بها أجهزة الإعلام السلطوية والتى تلاحقهم أينما كانوا .. فكل أرائهم معلّبة من قبل .. فوسائل الإعلام تجهزها وتسوقها فى برامج الإذاعات المرئية والمسموعة وفى الصحف والكتب

والنشرات ، وماعليهم إلا أن يتعاطوها بهوادة أو يتجرعوها قسرا . وهنا نستطيع أن نرصد اتجاهين:-

الأول ؛اتجه مباشرة إلى العنف الزائف (ونطلقه تجاوزا على صورة التمرد لمجرد التغيير دون وعى أو تحمل لمسئولية ما بعد التغيير) ضد كل الأطر الاجتماعية التسلطية والأسرية والدينية والسياسية التى اعتقدوا أنها تنال من حرياتهم وخبراتهم ، وتشعرهم بضآلتهم ، وضد كل النسق القيمى الذى أطاحت به الثورة العلمية التكنولوجية ، وضد كل النظم التربوية والتعليمية التى تعمل على صبهم فى قوالب نمطية جامدة تتجاهل الفوارق بينهم وتحفظ طاقتهم وحماستهم .

أما الاتجاه الآخر ؛ فهو هروبى انسحابى تمثل فى خروج الطالب من حضانة أسرته وإقامته خارج نطاقها وبعيدا عن سيطرتها وتسلطها ، وسواء كان يعيش بعيدا عن المنزل كأن يسكن فى المدينة الجامعية وبدائلها أو حتى إذا كان ينام الليل فى منزله ، فإنه يقضى أغلب وقته فى النهار والليل خارج المنزل كأن يقضيه فى الكلية أو على المقاهى أو فى التجول فى المدينة . والطالب فى هذه الحالات يتهرب من عبء سلطة الأب أو العم أو الخال أو الأخ الأكبر ، وهو بذلك يسجل نوعا من

« الاحتجاج الصامت » في قلبه ثورة كامنة . والواقع أن الشباب ضحية تغيير القيم الاجتماعية ، ولم يتفهم هذه القضية أحد ، فهم فقدوا الثقة فى القديم ولم يجدوها فى الجديد .. ولذلك فإن بعضا منهم لايجد سوى التمرد مخرجا والبعض الآخر يؤثر الخضوع الصامت ... فينصرف الطلاب منهم عن كتبهم ومراجعهم ويقل تحمسهم لعملية التعليم واكتساب المعارف ، ولايخفون احتقارهم للجو المزيف الذى يظهر الاهتمام المتسم بالاحترام . كذلك هناك الصراع الذى نشأ لدى الطلاب نتيجة التفاوت بين طموحاتهم المرتبطة بأوضاعهم الاجتماعية السابقة وبين الآفاق الفعلية المتاحة أمامهم ومايواجهونه من بطالة بعد تخرجهم . ولعل هذا الصراع أحد المحاور التى يرتكز عليها تمرد الشباب على آبائهم كما أن نظم التعليم ذاتها بما تنطوى عليه من عوامل قهر وإخضاع وإرهاب متمثل فى صورة المعلم الديكتاتور وقسوة الامتحانات والتعجيز فى أسئلتها ، وتخمة الكتب التى تجلب الدوار بل والاشمئزاز والتى تسير على عكس مايجرى بالفعل فى الحياة والتى يقسر الشباب على تجرعها . كل هذه الأشياء ، متفرقة أو مجتمعة ، كانت ومازالت ، تثير احتجاج الطلاب كثيرا أو قليلا .. فيحاول بعضهم الاقتراب أو الانضمام

للجماعات الدينية أو الحزبية المتطرفة أو اتحادات الطلاب أو حتى التسكع على المقاهى حيث تثار المناقشات الحامية ، سياسية غالبا ، والتى يكون اندماجه فيها أحد عوامل «تسكين اغترابه» وإتاحة الإثارة الساخنة التى يفتقدها فى جو المؤسسات التعليمية .. كما تعطيه الشرعية فى الامتناع عن حضور المحاضرات وتؤهل له الفرصة لأن يتصرف بحماقة ونزق ، وأن يصرخ وأن يصبح زعيما ، يدعو للامتناع عن حضور المحاضرات والدروس .

وعليه ، فإن نظمنا التربوية بما جبلت عليه من تسلطية هى دافع نحو تمرد الشباب وبالتالى ينبغى على هذه النظم أن تعيد صياغة أساليبها التربوية من جديد حتى تكسب كل المستقبل ، أى تكسب الشباب إلى صفوفها .

وفى عاقبة الأمر ، فإنه يجدر بنا أن نؤكد أن هذه القيم المناهضة للتنمية فى بلدنا وغيرها من قيم سلبية كعدم تقدير الوقت وعدم التوقع المستقبلى ، ليست قيما لاتقبل التغيير ، بل هى نتاج المجتمع ذاته بعلاقاته وتوازناته وصراعاته ، ومن هنا يمكن بالإرادة والوعى الحقيقى ، التخلص منهما على المستويين الفردى والجماعى واستبدالها بحيث يحل محلها قيم إيجابية تدفع

عجلة التنمية والتقدم فى المجتمع . وتأتى عمليات التنشئة الاجتماعية والسياسية والأخلاقية فى مقدمة الأساليب التى تصنع هذا الوعى وتقوى تلك الإرادة .

ونستطيع أن نقرر أن القيم التالية تعد من القيم الإيجابية التى ينبغى التأكيد عليها عند التفكير فى إحداث عمليات تنشئة أو تنمية اجتماعية تخدم قضايا التنمية :

١- القيم الدينية : ومن الطبيعى أن تتصدر هذه القيم قائمة القيم الإيجابية على الرغم مما يثيره البعض من أن هذه القيم هى سبب تخلفنا . ولكن التحليل العميق للقيم الدينية ، ينافى هذا الزعم . ففى هذه القيم مبادئ وأحكام أخلاقية بالغة الأثر فى تفادى كثير من القيم السلبية التى سبق أن تحدثنا عنها ، فلو تعمقنا النسق القيمى للدين الإسلامى مثلا وحللنا أخلاقياته لوجدنا أنه يتضمن معانى وقيماً تعتبر لب عملية التنمية ، فاحترام العمل وإتقانه محور رئيسى من ركائز الفكر الإسلامى ، كما أن الملكية فى الإسلام ليست للفرد أو للجماعة أو للدولة ، وإنما هى فعل اجتماعى . فالمالك ليس إلا وكيلا ، عليه أن يقدم حسابا بذلك للأمة مهما كانت صيغة الملكية سواء فردية أو اجتماعية أو حكومية . فالقرآن الكريم يندد بالذين يجمعون المال

ويعددونه أو يخزنونه . كما أن الإسلام لايعادى الاستهلاك بل يراه دافعاً للإنتاج وتحسينه ، على أنه يضع له ضوابط أخلاقية هى : الصدق والطهارة والإخاء والإحسان والتقوى ، « ياأيها الناس كلوا مما فى الأرض حلالا طيبا ولاتتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين » [البقرة : ١٦٨] . كما أن الإسلام لايعارض الرفاهية الفردية أو يمانع فى التمتع بمنتجات الرفاهية ، وإنما يربطها بالوضع الاقتصادى فى الوطن ، ومدى توفير الضمان والتضامن الاجتماعى لأفراد المجتمع . كما أن للإسلام مواقف فيما يتصل بالمساواة بين الناس والتضامن الاجتماعى ، والتعامل الأخلاقى فى المجتمع ، وخدمة الناس ابتغاء وجه الله ، وبذل الجهد فى مجال الخدمة العامة ، ومراعاة الله فى كل مانعمل .. الخ وكل هذه الأمور إذا ماتم توضيحها وتجليتها بحيث تتحول إلى قيم يتمسك بها الناس وتحكم سلوكهم وتتمثل فيه أيضا فإن هذا لكفيل بإحداث دفعة قوية وضخمة لأية تنمية تستهدف الإنسان ، فبهذه الروح وتلك القيم أقام المسلمون حضارتهم التى لاتبارى .

٢- القيم التخطيطية : فهذه القيم إذا قدر لها أن تسود مع زميلاتها القيم الدينية لأمكن التخلص من كثير من التشوهات القيمية لدينا . فهذه القيم تستطيع أن تبصرنا بحركتنا على خط

المستقبل وتعوض لنا الفهم السئ للقدرية فى الأديان . فنحن نعلم أنه نتيجة للجهل (نسبة الأمية تصل إلى مايقرب من ٥٦٪ من إجمالى الشعب المصرى ، ناهيك عن الأمية الثقافية وأنصاف المتعلمين ... الخ) فإن الفكر التواكلى القائم على رفض التفكير والالتجاء للصور الغيبية قد استشرى بين القطاعات المنتجة من المجتمع ، مما يؤدى إلى تعويق حركة المجتمع وتقدمه ، كما أدى إلى سيادة النمط الاستهلاكى- لا الإنتاجى- والذى يعادى العمل المنتج ويؤخرنا عن حركة الحضارة العالمية .

ومن هنا فإن قيما تخطيطية توقعية مستقبلية ، كعَقْلَنة الأمور وإخضاعها للمنهج العلمى القائم على تحليل منطقي ومدروس لقضايانا مع احترام النظرة الكلية للأمور ، كذلك رفض القيم الاستهلاكية ، التوقع والتفكير المستقبلى ، احترام الوقت كأساس للتقدم ، احترام العمل- الموضوعية – رفض التبعية الاجتماعية والاقتصادية والفكرية- الاعتزاز بما هو قومى- الحفاظ على البيئة صيانة للأجيال القادمة .. الخ كل هذه القيم ينبغى أن توضع فى بؤرة اهتمام التربية كمجهود قيمى وأن يتم بالحاح تكوينها وتدعيمها لدى الناشئة والشباب وأن تنال الاولويه المطلقه فى نسقنا القيمي حتى تكون له بمثابة موجهات سلوكية على المستوى الحياتى والقومى .

خامساً : المداخل التربوية لتكوين القيم وإكسابها : تعد عملية التنشئة الاجتماعية التى تقوم بها التربية بمؤسساتها المختلفة هى العملية التى يتشرب بها الأفراد متضمنات النسق القيمى للمجتمع الذى يعيشون فيه . وهى بذلك العملية التى تتعهد بإكساب الأفراد الإطار المشترك الذى من خلاله يتحدد شكل المجتمع وملامحه ، كما تتولى مسئولية تكوين الأحكام المعيارية التى تمكنهم من التفرقة بين ماهو زائف وماهو حقيقى ، ماهو سئ وماهو خير .. الخ .

وطبيعى أن هذا الإطار وتلك الأحكام تتسلسل تبعاً لمستويات الإلزام التى ذكرناها من قبل . وتقتضى عملية التنشئة إستمرارية ومتابعة تمتد طوال عمر الفرد تتخللها الخبرات المختلفة التى تسعى المؤسسات التربوية إلى إكسابها لهذا الفرد بما يشبع حاجاته الحقيقية .

وفى ضوء ماسبق فإن التنشئة الاجتماعية كما يراها الكين وهاندل هى العملية التى تساعد على تفسير نوعين مختلفين من الظواهر . فهى من الناحية الأولى تساعد الطفل على أن يصبح فرداً قادراً على المشاركة فى المجتمع . فمن الواضح أن الطفل الحديث الولادة لايعتبر كائناً اجتماعياً بالرغم من وجود أغلب الصفات التى نعتبرها إنسانية فى الطفل كقدرات أو إمكانات .

وفى الأيام الأولى من حياته يعرف آلام الجوع فيبكى إلا أنه يشعر بارتياح وتسترخى توتراته عندما يمتص مصدر التغذية ، ويعرف التوترات المعوية ، وعندما يتخلص من فضلاته يشعر باسترخاء . وباختصار تكون قدرات الطفل ،الحديث الولادة ، المهيأة للعمل مع الكائنات البشرية الأخرى ضئيلة بدرجة كبيرة ، وتتطور هذه القدرات خلال التنشئة الاجتماعية . وتساعد التنشئة الاجتماعية من الناحية الأخرى – على تفسير الإمكانية المطلقة للمجتمع . فبينما تعمل فصائل معينة من الحيوانات الدنيا على سلم التطور فى المجتمعات الفطرية ، لاتدنو أى منها من درجة تعقيد المجتمع البشرى ، التى تتخذ أشكالا مختلفة توضع بدقة ومهارة فائقة . وبالتالى فمن الضرورى عند النظر إلى الإنسان من منظور التطور أن نشرح كيف أن أعداداً هائلة من الكائنات التى يطلق عليها اسم الإنسان تستطيع أن توجه أفعالها من فرد إلى آخر بطريقة يمكن معها استمرار النظام الاجتماعى .

تأسيساً على ذلك فإنه يصبح من الضرورى التعرف على المؤسسات التربوية المختلفة التى تتولى عملية التنشئة الاجتماعية ، وكذلك إدراك وسائلها فى تحقيق ذلك . وعلى الرغم من كون هاتين المسألتين مرتبطتين إلا أنه لزيادة الوضوح العلمى سوف نتناولها منفصلتين على النحو التالى :–

(ا) المؤسسات التربوية التى تقوم بإكساب الأفراد القيم :

تتعدد المؤسسات التربوية التى تتولى هذه المهمة ؛ فمنها الأسرة وجماعات الأقران والمنظمات المدرسية والدينية والسياسية ، وهناك أيضا وسائل الإعلام الجماهيرية . ولعله من المفيد أن نؤكد أنه على الرغم من إختصاص كل مؤسسة أو وكالة بوظائف معينة فى عملية التنشئة الاجتماعية إلا أنها جميعاً ينبغى أن تتشارك فى تحقيق أهداف هذه التنشئة الاجتماعية ، وإن كان الأمر من الناحية الواقعية قد لايتحقق إذ أن هناك فى بعض الأحيان كثيراً من التناقض بين مهام هذه الوكالات المتعددة .

على أن هذا يدفعنا إلى تحليل سريع لطبيعة الدور الذى تقوم به هذه المؤسسات فى عملية التنشئة القيمية هذه ، بغية التغلب على أوجه الصعاب والتعارض التى قد تنشأ بينها .

١ – الأسرة : تعد الأسرة من أهم الجماعات الاجتماعية الأولية التى تتولى غرس قيم الثقافة العامة للمجتمع ككل وفى نفس الوقت غرس القيم التى تعتنقها الأسرة ذاتها . وقيم الأسرة تتضمن كل أساليب الحياة والتفكير .

وفى كل أسرة مجموعة من أشكال السلوك والاتجاهات المقبولة إجتماعياً تدور حول محاور كالدين والجنس والإنتاج

وتكوين الأسرة وتربية الأطفال ومناشط العلاقات الاجتماعية .
فالفرد يولد وهو خلو من المعايير التى تحدد تعامله مع المواقف والأشياء والأشخاص ومن الأهداف التى تنتظم عليها محاور حياته بعد ذلك ، ثم تتولى الأسرة رسم توجهاته فى الحياة من خلال ماتمثله الثقافة قيما لها .

ويستجيب الطفل فيمتص من الأسرة توجيهها لهذه القيم. على أن الأسرة لاتنقل لأفرادها كل عناصر الثقافة بل تقوم بعمليه قيمية تقويميه ؛ أى عملية اختيار من هذه العناصر وتقوم بتفسيرها للفرد ووضع أسس القبول أو الرفض لكل عنصر منها .

وبالتالى فإن الطفل يمتص ما يمتصه على أنه يرث التراث الثقافى بأعين الأسرة وهو يتعلم منها عن طريق الرموز الاجتماعية التى تستعملها ، كالرضى أو عدم الرضى ، الاحترام أو الاحتقار ، لكل مايحتك به فى نموه من ثقافة . كما أنه غالباً مايتقاسم مع الأسرة مشاعرها نحو كل تراث ثقافى ينقل إليه .

فالأسرة هنا تقوم بدور وسيط فى نقل التراث ، كما تقوم بتقديم الطفل لأول مرة لثقافة عصره وبيئته ، وتظل لسنوات طويلة هى المصدر الوحيد الذى يتوسط بينه وبين ثقافة المجتمع ، ومن هذه الثقافة يمتص كثيراً من المعايير والأحكام التى تؤثر فى أسلوب حكمه على المشكلات أو حلها .

وبديهى أن ثمة اختلافات جوهرية بين أساليب تنشئة الأطفال اجتماعياً ، وهذا الاختلاف مرجعه اختلاف تفهم الأسر المختلفة لأنماط ثقافة المجتمع واتجاهاتها نحوها ، كما أن نوع الثقافة ذاتها ، وخبرات الأسرة فيما يتصل بتلك الثقافة وآمالها وطموحاتها بشأنها ، تتحكم كثيراً فى اختيار الأسرة للقيم والمثل العليا التى تتولى غرسها فى أبنائها .

في دراسة عن كيفية اكتساب القيم لجماعتين ممثلتين لثقافتين مختلفتين يضمهما المجتمع الأمريكى وهم : الإيطاليون الجنوبيون واليهود بالنسبة لقيمة « الإنجاز » فى النسق القيمى لهم ، وجد الباحث أن الإنجاز يمثل للإيطاليين قيمة هامة ، فى حين أنه قيمة أساسية بالنسبة لليهود . والسبب يعود للتنشئة الاجتماعية ، فالأسرة اليهودية تعطى أهمية كبرى للتعليم والامتداد خارج نطاق العائلة ، وتنمية الذات ، والمقدرة على معالجة المواقف الخارجية ، فى حين تعطى الأسرة الإيطالية أهمية أكبر للثروة والملكية والتضامن العائلى والقوة السياسية فى نطاق الجماعة المحلية . وكنتيجة لهذين التوجيهين القيميين المختلفين تأتى للمجتمع اليهودى إمكانية الحراك الاجتماعى من خلال قيمة الإنجاز ، فى حين تقوقع المجتمع الايطالى داخل حدود ضيقة .

وهذا يوضح أيضاً كيف تستطيع الأسرة أن تحقق ماتريده من خلال ماتتمثله من أهداف وقيم . كما أن الأسرة هى التى تحدد تحيزات الفرد نحو الآخرين وتقديره لهم أو عدم تقديره ؛ فهى تنقل إليه تقديرها للطبقات الاجتماعية الأخرى وموقعها الأمر الذى تتعمق به هذه الاتجاهات والتحيزات مع الطفل حتى يصبح راشداً فتتشكل حولها قيمه .

وقد اقترح هربرت جانز إحدى الطرق التى تصف الفروق فى أنماط التفاعل الأسرى بأنه توجد ثلاثة أنواع رئيسية فى أمريكا الشمالية :

– **الأسرة المتمركزة حول الكبار** ، وهى التى يسيرها الكبار للكبار ، ودور الصغار هو أن يسلكوا قدر المستطاع سلوكا يعتبر مصغرا أو صورة مصغرة من سلوك الكبار . والأطفال ورغباتهم فى هذا النوع من الأسر تابعون بشكل واضح لآبائهم ويتوقع من الأطفال أن يقودوا أنفسهم بطرق تسر الكبار وتجعلهم انطوائيين .

والآباء فى هذه الأسر لايهتمون بتنبية أبنائهم أى بتربيتهم طبقاً للهدف أو الغرض السائد الذى يتوقع أن ينجزوه ، وليست لديهم صورة واضحة عن المركز الاجتماعى فى المستقبل ، أو

المستوى المهنى ، أو نمط الحياة الذى يريدون أن يصل إليه أبناؤهم .

– **الأسرة المتمركزة حول الطفل** ؛ ويكون الآباء فى هذه الأسر أكثر إهتماماً بالطفل : حيث يخططون للأطفال وتؤثر مستويات طموحهم التعليمية على أطفالهم ، وتسود الزمالة بينهم وبين أبنائهم . ويفترض الآباء أن أبناءهم سوف يكونون ناجحين فى مهمتهم .

– **الأسرة التى يوجهها الكبار** ؛ وعادة مايكون الآباء فى تلك الأسر قد تلقوا تعليماً جامعياً ، ويعرفون مايريدون لأبنائهم بدرجة أوضح مما يعرفه الآباء فى الأسرة المتمركزة حول الطفل ، ويوضح التأكد على النمو الفردى ، ويتعلم الأطفال الكفاح من أجل تنمية الذات طبقاً لشخصياتهم الخاصة .

ووجد جانز أن كلا من هذه الأنواع الثلاثة للأسر يتميز بصفة خاصة بطبقة اجتماعية ما . والنمط الذى يقوم فيه الكبار بالتوجيه أكثر عمومية فى الطبقة الوسطى– العليا ، وتوجد الأسرة المتمركزة حول الطفل فى الطبقة الوسطى– الدنيا بينما الأسر المتمركزة حول الكبار توجد فى الطبقة العاملة .

وفى عاقبة الأمر نستطيع أن نؤكد أن طبيعة التفاعلات وديناميات تلك التى تتفاعل داخل الأسرة عامل مؤثر فى إكساب الأبناء قيماً بعينها ، كما أن مركز الأسرة وحجمه الاجتماعى والاقتصادى يؤثر بنفس الدرجة وربما أكثر .

٢- جماعة الرفاق Peer group

برزت أهمية هذه الجماعة فى تشكيل قيم الأفراد مع التحولات الاجتماعية فى العقود الأخيرة والتى كان من نتائجها ضعف الروابط بين الآباء والأبناء ، وظهور ماسمى « بصراع الأجيال » بين أعضاء الأسرة تجاه مواقفهم من مكونات القيم المختلفة الموجودة فى ثقافة المجتمع .

ولما كان الأقران غالباً ماينتمون إلى نفس الفترة العمرية ونفس الشريحة الاجتماعية فإنه يمكننا القول بأن وظيفتهم تستطيع أن تناصر وتؤيد إتجاهات الأسرة وقيمها أكثر مما تخالفها .

وتلعب جماعات الأقران بما تمثله من ثقافات فرعية ، يحددها العمر الزمنى ، ذات أهداف واهتمامات وحاجات محددة ، أن تؤدى دوراً تربوياً هاماً فى تدعيم القيم التى يسعى إليها المجتمع . فتكوينها يسمح بإمكانية الحوار دون خوف أو خشية سلطة ما ، كما أن تقارب السن والمستويات الاقتصادية

الاجتماعية يكون عاملاً أساسياً فى تكوين قيم مشتركة توجه سلوكيات كل الأقران . ومن هنا كانت أهمية الاهتمام بهم كمجموعات تشارك فى غرس القيم .

وقد أهتمت الصين ، على سبيل المثال ، بهذه الجماعات اهتماماً بالغاً تمثل فى تكوينها لجماعة « الحرس الأحمر » التى تولت بعد قيام الثورة تعميق القيم الجديدة فى نفوس النشئ . أما إذا أهملت هذه الجماعات فقد تلعب دوراً فى تنمية قيم غير مرغوبة من المجتمع ، بل قد تتجاوز ذلك إلى تكوين قيم مضادة أساساً للمجتمع كالعصابات التى تقوم بالسرقة والاغتصاب والنهب .. الخ .

لهذا كله تبدو أهمية العناية المركزة بتلك الجماعات وتوجيهها لمالها من أدوار ووظائف هامة فى عملية التنشئة القيمية ، فهى تعتبر المجال الاجتماعى الوحيد الذى ينفصل فيه الأطفال عن الكبار ؛ حيث تحكم تصرفاتهم مجموعة من القواعد والطقوس والمصالح والاهتمامات ومنطق الطفولة . وبالتالى إبقاء الأطفال بعيدين عن الانغماس التام فى عملية التنشئة الاجتماعية . كما أن هذه الجماعات تعطى الطفل خبرة بأنواع العلاقات المتساوية أو المتعادلة . فهو ينشغل فى هذه الجماعة فى عملية الأخذ والعطاء

التى لايمكن أن توجد فى علاقته مع الكبار. حيث يكتسب الطفل أول خبرة ضرورية تتعلق بالمساواة. كما أن جماعات الأقران تعطى الفرصة للأطفال كى يستطيعوا تطوير علاقات أقوى مع من يختارونهم.

وعموماً فأن وظائف جماعة الاقران تلخصها إحدى الدراسات فيما يلى:

– إعطاء الطفل فرصة للتعامل مع أفراد متساوين ومتشابهين معه؛ الأمر الذى يكسبه خبرات جديدة تعجز عنها مؤسسات أخرى كالأسرة والمدرسة.

– تساعد الطفل على الوصول إلى مستوى الاستقلال الشخصى عن الوالدين وعن سائر ممثلى السلطة.

– تتولى تكملة دور وسائط التنشئة الاجتماعية الأخرى فيما يتصل بمناقشة المحرمات الاجتماعية فى جو من الحرية.

– تتولى ملاحظة كل جديد فى المجالات المختلفة وإتاحة الفرصة لأعضائها لمناقشتة وتجربته.

– تكسب أفرادها الاتجاهات والأدوار الاجتماعية المناسبة.

– تساعد أفرادها على تكوين معايير للحكم على الأشياء والسلوك.

٣ ـ المؤسسات المدرسية النظامية:

تكسب هذه المؤسسات وعلى رأسها المدرسة والجامعة ، أفرادها القيم المرغوبة اجتماعياً من خلال مرورهم فى خبرات أكاديمية تعدها لهم .

وتعد هذه المؤسسات امتداداً وظيفياً للأسرة من حيث تنظيمها لخبرات وعمليات اجتماعية وعقلية ومهارية تقوم أساساً على مابدأته الأسرة وتزيد عليه .

ومن الجدير بالذكر أنه يمكن النظر إلى المدرسة كنظام اجتماعى مكون أساساً من عناصر ثلاثة هى بنية المدرسة ، والمدرسين ، والفصول . على أنه قد أجريت دراسة حول أكثر العوامل المدرسية أهمية فى إكساب التلاميذ الخبرات الأكاديمية والإتجاهات المرغوبة بشأن التوجهات القيمية للطلاب فوجد أنها ؛ محتوى المناهج والمقررات ، محتوى المناهج كما يتفاعل مع أسلوب معين من أساليب التعليم ، التعبير الصريح للمدرسين عن قيمهم فى حجرات الدراسة ، تعبير المدرسين العارض عن قيمهم خارج نطاق حجرة الدراسة ، توحد الطلاب مع بعض المدرسين ومن ثم تبنى الأول لقيم الآخر . على أننا نضيف إلى

ذلك أهداف الفرد نفسه ومدى إدراكه لطبيعة النتائج التى يتوقعها من مشاركتة فى الخبرة .

كما كشفت دراسة علمية أخرى تتبعت مجموعة من طالبات الجامعةِ منذ بدأ التحاقهن بالجامعة إلى مابعد تخرجهن وممارستهن للحياة العامة ، عما يشير إلى دور الجامعة فى خلق توجهات قيمية مختلفة . حيث اكتسبن توجهات قيمية فى اتجاه التحرر والإيجابية وغيرها من القيم .

فى حين بينت دراسة أخرى أن الطلاب فى السنوات النهائية لدراستهم الجامعية يميلون إلى أن يكونوا أقل تعصباً وأكثراتساعا فى الأفق ، وأقل توجهاً للقيم التقليدية ، وأكثر تعاملاً مع القيم المنبثقة .

وتقوم المؤسسات التربوية النظامية بدور رائد فى التقريب الثقافى بين أبناء الطبقات الاجتماعية المختلفة . فثقافة المدرسة مثلاً قد تتخطى الاختلافات الطبقية بين التلاميذ وتعمل على دمجهم فى قيم واتجاهات وأنماط سلوك معينة يساعدها فى ذلك الخبرات الأكاديمية ويلعب المعلم دوراً إيجابياً فى عملية نقل القيم وغرسها داخل المؤسسات النظامية للتربية ، فلدى المعلم فرص

لاتبارى فى إنماء الأهداف الشخصية والاجتماعية المرغوب فيها والتى تسمو بالشخصية الإنسانية وتدعم التنمية المجتمعية . والمعلم يعتبر قدوة يقتدى بها الطالب شعورياً أو لاشعورياً . فهم يعتبرون نماذج حية للسلوك بين التلاميذ فى حياتهم اليومية ، مما يزيد من فعالية تأثيرهم فى تلاميذهم اجتماعياً .

٤ – وسائل الإعلام:

فى ضوء المتغيرات الثقافية والعلمية المتزايدة غدت وسائل الإعلام مصدراً هاماً من مصادر التأثير والتنشئة الاجتماعية ، ويزداد هذا الدور الهام لهذه الوسائل كلما كان المجتمع متجهاً نحو الانغلاق أكثر منه عندما يكون المجتمع منفتحاً ، كما يزداد كلما كان المجتمع أمياً أكثر منه متعلماً .

وتأتى أهمية وسائل الإعلام من قدرتها على تقديم خبرات متنوعة وثرية وجذابة للصغار والكبار معاً . ومن هنا يمكنها أن تشارك باقى المؤسسات التربوية فى تقبل عمليات التغير الاجتماعى وغرس القيم المرغوبة . وهذا لاينفى كون وسائل الاعلام قد تسهم فى تكوين قيم غير مرغوبة أو مستهجنة أحياناً كما سبق أن أشرنا لدورها فى نشر قيم الاستهلاك وإذا توقفنا قليلاً عند

التليفزيون باعتباره واحداً من الوسائل الخطيرة للإعلام ، والذى يطلق عليه فولر « الأب الثالث » لعظم شأنه فى تربية الأفراد . وجدنا أنه يستطيع أن يسهم فى حل مشكلات الأفراد ، أطفالاً وشباباً ، التى تدور حول الصراع القيمى والمقدرات والمحرمات فى المجتمع وذلك إذا مااستخدم استخداماً رشيداً . كما يمكن الإفادة منه فى أوقات الفراغ الأمر الذى قد يترتب عليه احداث تحولات جذرية فى أساليبنا المدرسية والأسرية . فالتليفزيون قد زاد من حيز الحياة الذى يتعامل معه الفرد ومن نطاق الشخصيات التى يستند إليها فى تكوين قيمه والاقتداء بها .

وكل هذه المزايا قد تشكل حرجاً شديداً للمعلم حيث تنقص من سلطته ونفوذه القوى فى التنشئة الاجتماعية ، على أنه يمكن إيجاد قنوات صحية بينهما تسمح بترشيد دور كلٍّ من المعلم والتليفزيون بما لا يأتى بأى تعارض بينهما ، فيمكن على حد تعبير « ولبر شرا » للمدارس أن تتعلم كيف تتنافس معه (التليفزيون) على أساس إثارة الرغبة فى التعلم ، وتحاول التأثير فى عادات المشاهدة بالاستفادة من التليفزيون كأساس لدروس محددة ، كالندوات والبرامج السياسية والثقافية والترويحية ومااليها .

(ب) الأساليب والطرائق:

كشف التحليل السابق للمؤسسات التربوية الغارسة للقيم كيف تتعدد وتتنوع أساليب تكوين القيم وتنميتها لدى الناشئة والشباب . وتحصر إحدى الدراسات هذه الأساليب فيما يلي:

١- اتباع المثل الصالح(القدوة) : ويتم هذا إما مباشرة كأن يسلك الصغار مثلما يسلك الكبار ، على اعتبار أن سلوك الكبار مثالى ، وإما بطريق غير مباشر كأن يستمع الصغار إلى قصص من الماضى ، أو من الحاضر ، عن منجزات رائعة تستحق أن تحتذى لأنها صادرة عن قيم مثالية .

٢ - الإقناع : وذلك بعرض الحجج والأسانيد التى لايستطيع المستمع لها إلا أن يتقبل راضياً مايقال له ، أو يقرأه ، وغالبا ماتحاول هذه الأسانيد تحطيم فكرة أو رأى مضاد .

٣- تحديد نواحى الاختيار ؛ فنعطى الأطفال مثلاً بديلات محددة تعبر عن قيم نحن نؤمن بها ، أو لا تدع لهم مجالاً للاختيار ، كأن تقول لفرد مثلاً يريد مشاهدة مباراة كرة قدم ، هل تذهب إلى فيلم كذا أو فيلم كذا وهو لايحب الأفلام .

٤- الخضوع لقوانين وقواعد تحتم على الفرد سلوكا معيناً ، وبصورة مستمرة ، وتحت عيون المراقبة حتى يتصرف الفرد

تلقائيا بالصورة المرجوة ، كأن يسلك خوفاً من عقاب أو طمعاً فى ثواب .

٥- الأفكار المنبثقة من الأصول الثقافية والدينية ، وهذه (الدوجما) سريعة المفعول ، ويكفى أن تقول لفرد إن الدين يقول كذا ، وهو متدين ، حتى يخضع ويتقبل ماتقوله .

٦- اللجوء إلى ضمير الفرد ؛ على افتراض أن لدى كل فرد فى أعماقه صوتا يمنعه من اقتراف الشر أو ارتكاب الخطأ ، وقوة داخلية تحاول أن تنقى سريرته وتبيض أعماله وأقواله . كأن تطلب من شخص ما أن يفعل كذا وكذا .. والا حاق العار بوالده .

وقد أثبتت كل هذه الأساليب أو بعضها نجاحاً كبيراً فى تكوين القيم فيما مضى ، على أنه مع كثرة البدائل والمتغيرات المطروحة أمام إنسان هذا العصر والاتجاه الديمقراطى نحو تأكيد حرية الفرد فى اختياراته ، وغير ذلك من أمور ، أصبح من الضرورى البحث عن أساليب أخرى تستطيع أن تمكننا من تكوين هذه القيم وتدعيمها لدى الأطفال والشباب .

لذا فقد اتجه عدد من المربين إلى اقتراح عملية تجمع بين كل هذه الطرق وتحترم حرية الإنسان فى اختيار مايراه صالحاً لأن يعتنقه ويحتضنه . وتتخلص عملية تكوين القيمة فى عناصر سبعة

تشكل مجتمعة أسلوباً متكاملاً لتكوين القيمة ، وهذه العناصر هى :

١- **الاختيار الحر**: أى أن الفرد يختار قيمه بحرية حتى تكون عزيزة عليه .

٢- **الاختيار من بين عدد من البديلات**: ومضمون هذا الاختيار أن هناك مانتخير منه من حيث العدد والتنوع .

٣- **الاختبار بعد تفكير فى عواقب كل بديل**: أى يدرس كل احتمال وبديل بعد تفكير ووزن للأمور .

٤- **الإعزاز والتقدير**: أى أن تكون اختياراتنا ممّا يسعدنا وتحتل منا مكانة عزيزة .

٥- **التأكيد**: أى لانتردد فى إعلان اختيارنا وندافع عنه ولانخجل منه .

٦- **العمل بما تخيرناه**: فالقيمة يجب أن تمارس ويجب أن تؤثر على مسار حياة صاحبها .

٧- **التكرار**: أى تظهر وتستمر فى سلوكنا وتتكرر حتى تصبح من نسيج نمط حياتنا . فإذا ما مرت قيمة من القيم بهذه الخطوات السبع فإنها تترسخ داخل النسق القيمى للفرد وتصبح

بمثابة حكم معيارى على جوانب من الخبرة وتوجه سلوكه توجيهاً يتسق مع مواصفات المجتمع وخبراته .

ولعله مما لايحتاج إلى بيان أن هذه الطريقة فى اختيار القيمة وترسيخها تتطلب من التربية قبل ، وفى أثناء ،وبعد ذلك ،أن تنمى لدى الفرد أساليب تفكير أصلية ، وتنمى لديه حساسية للالتزام بالقيم ، كما تنمى سلوكه فى إطار قيمى اجتماعى .

المراجع

أولا: المراجع العربية:

- السيد يس ؛ «الصراع والتوازن فى النظرية الاجتماعية المعاصرة» ، مجلة **الفكر المعاصر** ، **القاهرة** ، **العدد الثمانون** ، **اكتوبر ١٩٧١**.

- **توفيق الطويل** ؛ «**أسس الفلسفة**» ،(القاهرة: دار النهضة العربية ، الطبعة الخامسة ، ١٩٦٧) .

- تشانشا سوفاناثات ؛«بث القيم فى نفوس أطفال تايلند»ترجمة هناء محمد كامل أبو ستيت ، المجلة **الدولية للعلوم الاجتماعية** ،القاهرة ، يوليو - سبتمبر ١٩٨٠

- جون ديوى ؛ «**المبادئ الأخلاقية فى التربية**» ، ترجمة عبد الفتاح السيد هلال ،(القاهرة ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، ١٩٦٦) .

- ؛ «**الديمقراطية والتربية**» ، ترجمة متى عقراوى وزكريا ميخائيل ، (القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف ، الطبعة الثانية ، ١٩٥٤) .

- سامية حسن الساعاتى : **الثقافة والشخصية**: **بحث فى علم الاجتماع** الثقافى ،(القاهرة ، مكتبة سعيد رأفت ،١٩٧٧) .

– سعد مرسى أحمد: **التربية والتقدم** ،(القاهرة ، عالم الكتب ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٩).

– ضياء زاهر: **مستقبل الجامعة فى مصر** : « **تحديات وخيارات** » ،بحث قدم إلى المؤتمر الدولى الأول عن« التربية والمستقبل »المنعقد فى كلية التربية جامعة عين شمس بالقاهرة فى الفترة من ٢٠– ٢٣ مارس ١٩٨٢ .

– عبد الباسط عبد المعطى : « القيم الثقافية القروية والمسألة السكانية فى العالم العربى » ، (القاهرة : جهاز تنظيم الأسرة والسكان ، ١٩٧٦) .

– عماد الدين سلطان وآخرون : « الصراع القيمى بين الآباء والأبناء » ، (القاهرة ، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية ، وحدة البحوث النفسية والتربوية ، د.ت) .

– فريدريك الكين وجيرالد هاندل ؛ **الطفل والمجتمع : عملية التنشئه الاجتماعية** . ترجمة محمد سمير حسنين ، (طنطا ، مؤسسة سعيد للطباعة ، ١٩٧٦) .

– فؤاد زكريا : القيم الإنسانية بين الحركة والجمود ، مجلة **الطليعة** ، القاهرة ، العدد ٢٩ ، سبتمبر ١٩٦٥.

– حديث عن الشباب والثقافة . مجلة **الفكر المعاصر** ، القاهرة ، العدد (٧٧) ، يوليو ١٩٧١.

– فوزية دياب : « **القيم والعادات الاجتماعية** » ، (القاهرة ، دار الكاتب العربى للطباعة والنشر ، ١٩٦٦) .

– لانداد ورومر: « **ماهى النظرية النسبية** » ، (موسكو: دار مير للطباعة والنشر) .

– لويس كامل مليكة: **قراءات فى علم النفس الاجتماعى فى البلاد العربية** ، (القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٥) .

– محمد إبراهيم كاظم ؛ « **القيم السائدة بين الشباب من معلمى المرحلة الابتدائية فى جمهورية مصر العربية** » ، (القاهرة ، وزارة الشباب ، ١٩٧٠) .

–   ؛ « **تطورات فى قيم الطلبة ؛ دراسة تربوية تتبعية لقيم الطلاب فى خمس سنوات** » (القاهرة ، الانجلو المصرية ، ١٩٦٢) .

– محمد أحمد بيومى : « **علم اجتماع القيم** » ، (الاسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٨١) .

– محمد الهادى عفيفي : « **التربية والتغيرالثقافى** » ، (القاهرة ، الانجلو المصرية ، الطبعة الثالثة ، ١٩٧٠) .

– محمد عاطف غيث ؛ « **علم الاجتماع** » . (القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٦٢) .

(محرر) ؛ « **قاموس علم الاجتماع** » ، (القاهرة ، الهيئة العامة للكتاب ، ١٩٧٩) .

– محيى الدين أحمد حسنين : « **القيم الخاصة لدى المبدعين** » ، (القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٨١) .

– نجيب إسكندر وآخرون : **قيمنا الاجتماعية وأثرها فى تكوين الشخصية** ، (القاهرة ، النهضة المصرية ، ١٩٦٢) .

– هشام شرابى ؛ « **مقدمات لدراسة المجتمع العربى** » ، (بيروت ، الأهلية للنشر والتوزيع ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٧) .

– ورنر أكرمان : « القيم الثقافية وأثرها فى اختيار التكنولوجيا » ، ترجمة أمين محمود الشريف ، **المجلة الدولية للعلوم الاجتماعية** ، القاهرة ، العدد (٤٨) ، السنة (١٢) ، يوليو – سبتمبر ١٩٨٢ .

– **أعداد متنوعة من مجلة الأهرام الاقتصادى .**

ثانيا : المراجع الاجنبية :

—Barbeau, Clayton C. (ed.); **Future of the Family,** (New York; The Bruce Publishing Company, 1971).

—Cooper, David; **The Death of the Family,** (New York; Random House, Inc., 1970).

—Kazamias, Andres M., Massialas, Byron G.; **Tradition and Change in Education: A Comparative Study.** (Prentice-Hall, Inc., 1965) .

—Morrish, Ivor; **The Sociology of Education: An Introducation** (London; George Allen and Unwin LTD, Fourth Impression 1975) .

—Teich, Albert H. (ed.); **Technology and Man's Future** (New York; St. Martin's Press, Inc., 1977) .

—Yonkelovich, Daniel; **The Changing Values on Compus: Political and Personal Attiudes of Today's College Students.** (New York; The JDR 3rd Fund, Inc., 1972).

رقم الإيداع ٨٤/٢٠٤٣
مطبعة نهضة مصر